٢١٥

HARLEQUIN

روايات احلام

أرجوك افهمني

ديبي ماكومبر

www.elromancia.com
مرمورية

أرجوك افهمني

ماذا تفعلين حين لا يكون الحب كافياً!

إذا كنتِ ماري جو سومرهيل، معلمة الروضة، وكنت تحبين إيفان درايدن المحامي الشهير... فستهربين من حياته! ستكذبين عليه وتقولين له إنك تحبين رجلاً آخر ولن تتزوجيه أبداً!

لاحقاً... بعد ثلاث سنوات، أنت بحاجة إلى مساعدة قانونية، فتذهبين إليه وتكتشفين أنك لا زلتِ تحبينه... ولا تعرفين ما هي مشاعره بعدما فعلته به... وتتساءلين: هل يمكن للحب أن يحظى بفرصة أخيرة؟

www.elromancia.com

ديبي ماكومبر

كاتبة أميركية تعيش في ولاية «واشنطن». لديها أربعة أولاد، جميعهم في سن المراهقة، إضافة إلى عدد من الحيوانات الأليفة من بينها عدة قطط وكلب. بدأ نجم «ديبي» يلمع في عالم الكتابة منذ طفولتها، حين نسخ شقيقها دفتر مذكراتها وباعه. لكن قرّاءها ازدادوا كثيراً منذ ذلك الوقت!

تقول إنها كتبت رواياتها الأولى لأنها أغرمت بالروايات العاطفية وأرادت أن تكتب رواية خاصة بها. تحب ديبي أن تتواصل مع القرّاء.

يمكنكم أن تراسلوها على العنوان التالي:

P.O.Box 1458
Port Orchard,
Washington 98366,USA

١ ـ لم يتزوجها

يمكن لماري جو سومرهيل أن تتذلل عند قدمي إيڤان.. لأنها تعرفه جيداً، وتعرف أن هذا الأمر سيعجبه.. هذا الموعد نفسه، يظهر مدى يأسها. لكن ليس لديها خيار آخر: مستقبل والديها بين يديها، وتعرف أن ما من محام يستطيع أن ينقذها من هذه الورطة، أفضل من إيڤان درايرون.. شرط أن يوافق على مساعدتها.

الاتصال بصديق قديم، يثير عادة مثل هذا القلق.. لكن إيڤان كان أكثر من شخص خرجت معه عدة مرات. لقد جمعهما حب عميق.. وخططا للزواج. لا زالت ماري جو تحبه بطريقة ما،، وحتى وإن كاد انفصالهما يدمرها.

لم تكن ماري جو فخورة بالطريقة التي أنهت بها العلاقة، فإعادة خاتم الخطوبة بالبريد عمل جبان... لكنها لم تستطع مواجهته.. وكان عليها أن تدرك أن إيڤان لن يتقبّل الأمر بهذه السهولة. وبدت حمقاء حين صدّقت أنه سيسترد الخاتم دون مواجهتها.

جاء إليها غاضباً مجروحاً، ليطالبها بتفسير، فاضطرت ماري جو لاختراع قصة مجنونة حول لقائها بإنسان آخر، ووقوعها في حبه.

مثل هذه الكذبة الجريئة عظمت ذنبها كثيراً، لكنها كانت الطريقة الوحيدة للخروج من حياته. وقد نجحت.. فعاد إلى صوابه تماماً، كما قالت أمه، ولم يضيع وقته بل تابع مشوار حياته.

وبعد شهر، أخذ يخرج مع أخريات... كانت صورته مع جسيكا كيلرمان إلى جانبه تظهر غالباً في أخبار المجتمع في الصحف.. ودفع

www.elromancia.com

الفضول ماري جو إلى البحث عن ماضي عائلة كيلرمان.. فأظهرت لها تحقيقاتها كل ما أرادت معرفته.. سوف تكون جسيكا الزوجة المثالية لعائلة درايرون، فعائلتها ثرية وعريقة، خلافاً لعائلة سومرهيل، غير المعروفة في مجتمع بوسطن.

فيما بعد، سمعت ماري جو خبر زواج في عائلة درايرون.. وفي تلك الفترة، كانت في رحلة تعليمية، لذا لم تعرف شيئاً من الصحافة.. لكن الحديث عن حفل الزفاف وحفل الاستقبال دام أشهراً، واعتُبر الحدث الاجتماعي الأبرز تلك السنة.

جرى هذا منذ ما يقارب الثلاث سنوات.. وإيثان وجسيكا متزوجان الآن، ولعلهما كوّنا عائلة.. وتحولت وخزة الندم إلى عقدة في معدتها، فلا شك أن إيثان أب ممتاز. لقد تحدثا طويلاً عن العائلة، وهي تتذكر كم كان متشوقاً لإنجاب الأولاد.

هذا ليس الوقت المناسب لتظهر مع جديد في حياته. لكن، لا خيار أمامها، فمستقبل والديها وقف على إيثان.

قالت موظفة الاستقبال: «سيستقبلك السيد درايرون الآن».

رفعت رأسها، وكادت تفقد شجاعتها. أخذ قلبها ينبض بسرعة، فشدت قبضتها على حقيبة يدها، وقد تملكها خوف شديد، ثم هبّت واقفة.

- رافقيني من فضلك.

- طبعاً.

جاء صوتها خفيضاً، ولحقت بموظفة الاستقبال عبر ردهة واسعة مفروشة بالسجاد السميك إلى مكتب إيثان. أدخلتها موظفة الاستقبال إلى المكتب، ثم تركتها.

عرفت ماري جو سكرتيرة إيثان على الفور، ولو أنهما لم تلتقيا من قبل. فالسيدة ستيرلنغ، كانت كما وصفها لها تماماً.. متوسطة العمر،

قصيرة، نحيلة، حيوية.. وكفوءة إلى أبعد الحدود..

قالت السيدة ستيرلنغ:

- طلب مني إيثان أن أدخلك على الفور.

وسارت أمامها إلى باب داخلي مقفل، فتحته ثم سألت:

- هل أحضر لك فنجان قهوة؟

- لا.. شكراً.

دخلت ماري جو وقد انقبض قلبها.. وراحت تتساءل كيف ستواجه إيثان بعد كل هذا الوقت.. كانت قد قررت أن تتعامل معه وكأنه صديق قديم، وأن تصافحه بابتسامة، وتسأله عن جسيكا، وبعض الأمور العامة في حياته.

وعلى بعد بضعة أقدام من الرجل الذي أحبت، وجدت ماري جو نفسها عاجزة عن الحركة، وبالكاد تتنفس. خلال ثوان، غرقت في مشاعر جهلت كيف تتعامل معها.

استحضرت وجه غاري، الرجل الذي اعتادت أن تلتقيه من حين إلى آخر في الأشهر الأخيرة، لكن هذا لم يساعدها.. ثم حاولت أن تخرج من اضطرابها بتعليق ذكي، بنكتة ما، أي شيء. لكن كل ما استطاعت أن تتذكره هو أن الرجل الذي أحبته منذ ثلاث سنوات، ولا زالت تحبه، متزوج من امرأة أخرى.

كان إيثان منشغلاً بالكتابة. رفع رأسه... فالتقت عيونهما. وللحظة قصيرة، بدا وكأنه يشاطرها إحساسها بالخسارة والندم.. ورمش بعينيه، فاختفى هذا الإحساس..

قالت، وقد أذهلها صوتها العفوي:

- مرحباً إيثان. أعتقد أن رؤيتي فاجأتك.

وقف ومدّ يده لمصافحتها، ثم قال بصوت أجش مهني:

- ماري جو.. يسرّني أن أراك.

كادت ماري جو تنفجر ضاحكة.. فإيثان لم يجد يوماً الكذب.. وهو الآن أبعد ما يكون عن السرور لرؤيتها. أشار إلى كرسي بجانب مكتبه، وقال: «تفضلي بالجلوس».

جلست بامتنان، لم تعد واثقة من قدرة قدميها على حملها. وضعت حقيبتها على الأرض وانتظرت حتى تعود دقات قلبها إلى طبيعتها، قبل أن تفصح عن غرض زيارتها.

- هل قدّمت لك السيدة ستيرلنغ فنجان قهوة؟

قالت بسرعة، ويداها ترتجفان:

- أجل، أنا بخير.. شكراً لك.

جلس إيثان، منتظراً.

- أعتقد أنك تتساءل عن سبب وجودي هنا...

استند إلى ظهر كرسيه، فبدا بارداً مسيطراً.. لقد مرت ثلاث سنوات على لقائهما الأخير، ولم يتغير، على الأقل من الخارج.. فلا زال أحد أكثر الرجال وسامة... شعره أسود وعيناه داكنتان، كظلام الليل الحالك، وقسمات وجهه منحوتة من الصخر. كان والتر درايرون، والد إيثان، سيناتوراً عن ولاية ماساتشوستس.. ويتوقع أن ينتقل إيثان إلى عالم السياسة يوماً ما، وهو يمتلك فعلاً المظهر الملائم لهذا.

ما الذي جعله يقع في حب ماري جو؟ لطالما تساءلت عن ذلك، ولطالما أذهلها هذا السؤال... كانت تعتقد أن الأمر يعود إلى اختلافها عمن يواعدهن من نساء. فقد كانت تسلّيه، ولا تتعامل معه بجدية مطلقة، وتجعله يضحك.

قال، بلهجة تنمّ عن شيء من التوتر:

- هل لديكِ ما تريدين مناقشته معي؟

عادت بسرعة إلى هدف زيارتها:

- أجل.. أنا آسفة. والداي.. في الواقع أبي.. تقاعد منذ فترة قصيرة.. واستثمر مدخراته كلها في شركة مالية، تدعى «استثمارات أديسون»، هل تعرفها؟

- لا.. لم أسمع بها.

لم تندهش ماري جو، فالأثرياء مثل إيثان يستثمرون أموالهم في شركات ضخمة.. في حين أن والدها سلّم أمواله لرجل قابله ووثق به كلياً.

- لقد استثمر أبي كل ما يملكه في تلك الشركة. وحسب بنود الاتفاق، يجب أن يتلقّى مبلغاً شهرياً من الأرباح، لكنه لم يتلق شيئاً.. في البداية كانت الأعذار معقولة، وقد تقبلها أبي. ولكنه ظل يصدق بيل أديسون هذا، بدلاً من أن يواجه الحقيقة.

سألها إيثان: «وما هي الحقيقة؟»

- لستُ أدري... لذا أنا هنا.. لقد عمل والدي أربعاً وثلاثين سنة ككهربائي بناء. ربى ستة أولاد، ووفر طوال الوقت، ليضيف بعض المال إلى تقاعده. أراد أن يسافر مع أمي.. ولقد حلما برحلة بحرية إلى جنوبي الباسفيك.. وأخشى أنهما سيخدعان ويسلب منهما مالهما.

سجل إيثان بضع ملاحظات فيما تابعت ماري جو كلامها...

- جئت إليك لأنني أخشى أنّ أخوتي قد قرروا معالجة الأمر بأنفسهم. قصد جاك وديتش في الأسبوع الماضي مكتب أديسون وأثارا المشاكل حتى كادت الشرطة أن توقفهما... وسيصاب والداي بأزمة إذا زج أخواي في السجن.. وبرأيي لا تعالج الأمور إلا عبر محامٍ.

سجل إيثان ملاحظة أخرى:

- هل جئت بالأوراق التي وقعها والدك؟

- لا.. فأنا لم أخبر أحداً بأنني قادمة إلى هنا. فكرت أولاً في أن أقنعك باستلام هذه القضية من أجل العائلة.. بعدها سأجيء بوالديّ

لتناقشهما في التفاصيل. يجب أن تعلم أن المسألة تتعدّى مسألة المال.. فوالدي محرج لأنه وثق بالرجل.. ويشعر بأنه عجوز مخدوع.

- هناك قوانين صارمة تحكم مسألة الاستثمارات في هذه الولاية.

مالت ماري جو، متلهفة لسماع ما سيقوله. سألته بلهفة:

- إذن، هل تستطيع مساعدتنا؟ سيسرني أن أدفع لك مهما كانت أجرتك.. ولن أرضى بأن تتقاضى منا أقل مما تتقاضاه من الآخرين.

وقف إيڤان وسار نحو النافذة، مولياً ظهره لها، ثم قال:

- مؤسستنا متخصصة في قانون الشركات.

- هل هذا يعني أنك لا تستطيع استلام القضية؟

شد إيڤان قبضتيه إلى جانبيه، ثم فتح أصابعه، وأجاب:

- لا.. ولكن هذه القضايا متشعبة. وقد ينتهي بنا الأمر أمام القضاء.

- عائلتي مستعدة لأي شيء لتسوّي هذه القضية.

قال محذراً: «القضايا القانونية مكلفة!»

- لا يهمني هذا، ولا يهم إخوتي.. أنهم لا يعرفون بلقائنا هذا، لكنني واثقة من أنهم سيساهمون في المصاريف.

لكنهم لم يتمكنوا من دفع الكثير.. فماري جو الأصغر سناً، والبنت الوحيدة. وأخوتها قد تزوجوا وأسسوا عائلات.. ولسوف يقع حمل المصاريف على كتفيها، لكنها تتقبل هذا الأمر بطيب خاطر. سألها إيڤان مقطباً:

- هل أنت واثقة من أنك تريدينني أن أتولى هذه القضية بنفسي؟

- بالتأكيد.. فما من أحد أثق به أكثر منك.

التقت عيناها بعينيه، ورفضت أن تبعدهما عنه.. قال:

- أستطيع أن أنصحك بمحامٍ أكثر كفاءة في هذا المجال.

قاطعته:

- لا.. أنا لا أثق بأحد سواك.

شعرت أنها تسرعت في التعبير.. وأخفضت نظرها محرجة. وللحظات بدت طويلة، لم ينطق بكلمة واحدة.. فحبست أنفاسها تنتظر. إن طلب منها أن تتوسل إليه، لفعلت، وسيكون هذا مجرد تعويض عادل للطريقة التي عاملته بها.. أضافت بصوت خفيض مرتجف:

- أرجوك!

رفع كتفيه بتنهيدة، وقال:

- قبل أن أقرر، أخبريني بما كنت تفعلينه في السنوات الثلاث الماضية.

لم تكن ماري جو تتوقع مثل هذا الطلب، كما لم تكن مستعدة لسرد تفاصيل حياتها.

- لا زلت في مهنة التعليم.

- حضانة الأطفال؟

ردت بحماسة:

- أجل.. الأولاد في سن الخامسة لا زالوا المفضلين لدي.

- لاحظت أنك لا تضعين خاتم الزواج.

نظرت إلى إصبعها آلياً.. وزمت شفتيها بقوة، وهي تسمعه يسأل:

- إذن، لم تتزوجي حبيبك؟

- كلا.

- ما الذي حدث؟

هزت كتفيها رافضة أن تقع مجدداً في فخ الكذب.. فقد ندمت على كذبتها الأولى طوال السنوات الثلاث الماضية... أضاف مستفهماً:

- ألم تنجح علاقتكما؟

أحست بالعذاب، وهي تجيب:

www.elromancia.com

ـ أنت على حق.. لم تنجح.

ابتسم.. لكأن هذه المعلومة أسعدته.

ـ هل تخرجين مع أحد هذه الأيام؟

ـ لا أظن هذه المعلومات مهمة للقضية، فأنت محامٍ، ولست كاهناً.

فأجاب بكلمات حادة:

ـ أنا لا شيء بالنسبة لك.. على الأقل حتى الساعة.

ـ هل ستتولى القضية أم لا؟

ـ لم أقرر بعد.

يريدها أن تتذلل.. ويقال إن الجحيم لا يضاهي غضب امرأة مذلولة. فقالت بلهجة حاسمة:

ـ أنا أخرج مع غاري كوبلاند منذ أشهر عدة.

ـ أستاذ آخر؟

ـ إنه أطفائي.

هز إيڤان رأسه مفكراً.. فسألته مرة أخرى، وقد سئمت التلاعب السخيف:

ـ هل ستساعد أبي أم لا؟

صمت للحظة، ثم قال فجأة:

ـ حسناً.. سأقوم ببعض التحريات حول استثمارات أديسون.

أحست ماري جو بالارتياح والامتنان بحيث تهاوت في مقعدها.

أضاف:

ـ حددي موعداً مع السيدة ستيرلنغ للأسبوع القادم واصطحبي والدك معك. أفضّل يوم الجمعة لأنني سأكون في المحكمة معظم أيام الأسبوع.

همست وهي تحاول حبس دموع الفرح:

ـ شكراً يا إيڤان.

وقفت وهي تقاوم رغبتها في احتضانه.. وخرجت من الغرفة. مرت بالسيدة ستيرلنغ في الردهة.. ولشدة استعجالها كادت تصطدم بامرأة تحمل طفلاً.

ـ أوه.. أنا آسفة جداً.. لم أكن أرى طريقي.

فردت المرأة الأخرى:

ـ ما من مشكلة!

وضمّت الطفل إلى وركها تحميه. كان الصبي الصغير يرتدي بذلة بحرية ورفع إليها عينيه السوداوين الداكنتين.

نظرت ماري جو إلى المرأة الطويلة الجميلة.. إنها جسيكا، زوجة إيڤان! والطفل بين ذراعيها ابنه! كادت صدمة الألم تشلها... إلا أنها سمعت جسيكا تقول:

ـ ما كان عليّ أن أقف قرب الباب هكذا.. لقد أصرّ زوجي على اصطحابنا لتناول الغداء، وطلب مني لقاءه هنا.

فقالت ماري جو:

ـ لا بد أنك جسيكا درايرون.

وعجزت ماري جو عن نزع عينيها عن ابن إيڤان، الذي كان يبتسم بمرح ويلوح بذراعه.. ولو كانت الظروف مختلفة، لكان هذا الصبي ابنها.. وأحست بفراغ عميق في داخلها. قالت جسيكا: «هذا آندي».

ـ مرحباً آندي!

مدت له يدها فأخذها وحاول أن يقربها من فمه.

ضحكت جسيكا، وعلّقت:

ـ أخشى أن أسنانه تشق طريقها.. وكل ما يمسكه يضعه في فمه على الفور.

سارت جسيكا مع ماري جو إلى المدخل وهي تؤرجح الصغير على

www.elromancia.com

وركها، ثم قالت:

- تبدين لي مألوفة.. هل أعرفك؟

- لا أظن.. اسمي ماري جو سومرهيل.

بدا التفكير على وجه جسيكا.. ثم تلاشت ابتسامتها. فقالت ماري جو بسرعة:

- لقد سعدت بلقائك.

وسارعت الخطى مع اقترابهما من الباب. فقالت جسيكا:

- لقد ذكرك إيڤان.

توقفت ماري جو فجأة، وقد تولاها الفضول: «حقاً؟».

- أجل.. وقد امتدحك كثيراً.

استخدام جسيكا لصيغة الماضي لم يفت ماري جو، فعلّقت قائلة:

- إنه محام ممتاز.

وافقت جسيكا:

- إنه رائع!.. على فكرة.. أعتقد أن لدينا صديقاً مشتركاً.. إيرل كريس.

كان إيرل متطوعاً في مدرسة ماري جو.. يعلم البطيئين في القراءة.. كان إيرل يردد اسم إيڤان في كل مناسبة.. ويعتبره مثله الأعلى. وهو رياضي موهوب، حصل على منحة دراسية في معهد الرياضة، لكنه عانى من إصابة خطيرة في ركبته خلال معسكر تدريب لكرة القدم وذلك بعد أسبوعين من وصوله إليه.. وخلال شهرين طرد من المعهد، فأقام دعوة على الإدارة وربحها، وكان إيڤان محاميه.

في تلك الفترة احتلت القضية عناوين الصحف لأسابيع. وخلال المحاكمة، كانت ماري جو تتسمر أمام التلفزيون متلهفة لسماع الأخبار. ولم يكن اهتمامها منصباً على إيرل كريس بل على إيڤان. فملاحقة القضية أعطتها الفرصة لتراه مجدداً، ولو عبر شاشة التلفزيون،

ولدقيقة أو اثنتين في كل مرة.

ولقد فرحت جداً حين عرفت أن إيرل كسب القضية.. إذ التقته ماري جو بعد حوالي السنتين.. وكان يتابع دراسته في المعهد، ويتطوع بجزء من وقته ليعمل كمعلم في مدرستها... وأصبحا صديقين بسرعة..

قالت ماري جو:

- أجل.. أعرف إيرل.

- ذكر أنه عمل معك.. ودهشنا حين عرفنا أنك لا تزالين عزباء.

إيڤان يعرف! لقد جعلها ترتبك، وأجبرها على أن تقول الحقيقة، بينما هو يعرف أنها لا زالت عزباء. وشدّت ماري جو يديها إلى جانبيها..

قال صوت رجولي أجش من ورائهما:

- حبيبتي.. آمل ألا أكون قد تركتك تنتظرين طويلاً.

وتقدم إلى جسيكا ليأخذ آندي من بين ذراعيها ويقبلها على خدها.

ففغرت ماري جو فمها وهي تنظر إلى الزوجين.. وقالت جسيكا:

- هل تعرفين زوجي؟ داميان.. هذه ماري جو سومرهيل.

استولى الذهول على ماري جو، وقالت:

- كيف.. مرحباً.

لم تكن جسيكا متزوجة من إيڤان.. بل من شقيقه!

* * *

٢ - بين رجلين

سأل نورمان سومرهيل إيڤان بلهفة:

- هل يمكنك مساعدتنا؟

أحضرت ماري جو كلا والديها.. وراح إيڤان يقرأ الاتفاق الذي وقعه والدها مع استشمارات أديسون. فلاحظته ماري جو يقطب.. سألته:

- ما الخطب؟

كانت يدا أمها مضمومتين بشدة بحيث بدت أصابعها بيضاء.. فالأمور المالية تربكها وتزعجها.

ماري جو فخورة بعائلتها.. والدها ليس سيناتوراً، لكنه رجل صادق محترم.. ولقد كرّس حياته لزوجته وعائلته، وهكذا نشأت ماري جو في أسرة متحابّة. وبالرغم من أن والدتها قاربت الستين من عمرها، إلا أنها لا زالت امرأة جميلة، قلباً وقالباً. وقد ورثت عنها ماري جو شعرها الأسود وعينيها البنيتين، وقامتها النحيلة.. لكنها أخذت من والدها الوجنتين العاليتين والفك المربع.

ماري جو مولعة بأخوتها، وهي تعرف مشاكلهم جيداً.. فالعيش بين خمسة أخوة، كل منهم يتمتع بشخصية مختلفة، منحها خبرة كبيرة في فهم نفسية الرجال. ولعل إيڤان يتحدر من عائلة ثرية رفيعة المقام، لكنه رجل وقد تمكنت من قراءته ككتاب مفتوح منذ البداية.. ولعل قدرتها على اكتشاف مكنوناته هي التي جذبتها إليه.. ذلك الانجذاب الذي نما وأزهر، إلى أن...

كانت أمها تقول:

- يسرنا أن نستضيفك على العشاء يوم الأحد. كما سيسعدنا أن نعمّق معرفتنا بك.. وسيشرفنا أن تكون على مائدتنا.

قاطعتها ماري جو: «لا بد أن إيڤان مشغول يا أمي».

فقال إيڤان متجاهلاً ماري جو: «أشكرك على هذه الدعوة».

وأضاف الوالد، رامقاً ابنته بنظرة عتاب:

- أنت على الرحب والسعة ساعة تشاء، أيها الشاب.

- شكراً لك.. سأتذكر ذلك دوماً.

وأضاف إيڤان متحدثاً عن اتفاق الاستثمار:

- إذا كنتم لا تمانعون، سأعرض هذا الاتفاق على محام صديق، وسأحصل على الجواب الأسبوع المقبل.

هز الوالد رأسه:

- إفعل ما تراه ضرورياً. ولا تقلق بشأن أتعابك.

- أبي.. سبق وقلت لك! لقد تحدثت مع إيڤان بهذا الخصوص..

جادلها الأب عابساً:

- هراء.. وإذا كان على أحد أن يدفع أتعاب إيڤان، فهو أنا... لأنني تصرفت بغباء ووثقت بهذا المحتال.

فقال إيڤان بهدوء:

- لسنا بحاجة للقلق حول هذا الآن.. سنناقش أمر فاتورتي فيما بعد.

وافق نورمان سومرهيل بسرعة:

- يبدو لي هذا عدلاً.

لطالما تحمّل والدها مسؤولية أعماله، ولن يقبل بأن تتحمل ماري جو مسؤولية دين عليه. لكنها أملت أن تجد وسيلة لا تسيء إلى كرامته.

قالت لإيڤان:

ـ شكراً لك على مساعدتك.

وقال نورمان:

ـ تسرني رؤيتك مجدداً أيها الشاب، لا داعي لأن تطيل الغياب.. أنت على الرحب والسعة لتشاركنا العشاء في أي يوم أحد.

وتصافح الرجلان... تأوهت ماري جو في داخلها، ثم قالت:

ـ أبي أرجوك...

آخر ما تريده، هو أن يظهر إيڤان يوم الأحد، ليتناول العشاء مع أخوتها الخمسة وعائلاتهم؛ فهو لم يعتد الضجيج الذي يعلو خلال وجبات الطعام. فعشاؤها الوحيد مع عائلته، أظهر لها الفوارق الواضحة بين طريقتي تربيتهما.

قال إيڤان لماري جو:

ـ قبل أن تغادري.. طلب مني أخي أن أسلمك هذا.. أعتقد أنه من جسيكا.

وأعطاها مغلفاً مختوماً.

تمتمت ماري جو: «شكراً لك».

معظم وقت اللقاء، تجنب توجيه الكلام لها.. ولم يكن فظاً أو دون لباقة، بل تصرّف بشكل عملي، معها هي على الأقل.. أما مع والديها، فتصرّف بدفء ولباقة. وشكّت في أن يكونا قد لاحظا الفارق بين معاملته لهما ومعاملته لها.

لم تفتح ماري جو المغلف إلا بعد أن وصلت إلى شقتها الحميمة. نظرت إليه للحظات وهي تتساءل عما يمكن لجسيكا درايرون أن تقوله لها.

لا داعي للتخمين!.. وفتحت المغلف.

«عزيزتي ماري جو،

أردتك أن تعرفي كم سعدت بلقائك. حين سألت إيڤان عن سبب زيارتك لاذ بالصمت. كان عليّ أن أكون أكثر فطنة، فالحصول على معلومات من إيڤان صعب جداً.

من ردة فعلك ذلك اليوم، شعرت بأنك افترضت أنني زوجة إيڤان.. داميان وأنا ضحكنا كثيراً لهذا.. لقد حاول الجميع تزويجي من إيڤان، لكن عيناي كانتا على داميان فقط. إذا كنت حرة بعد ظهر أي يوم، اتصلي بي فقد نتمكن من تناول الغداء معاً.. أجمل التمنيات.. جسيكا».

وسجلت جسيكا رقم هاتفها تحت توقيعها.

لم تفهم ماري جو لماذا ترغب زوجة داميان في التحدث إليها.. فهما غريبتان.. لكن لعل جسيكا تعرف شيئاً عن إيڤان تجهله ماري جو.. والطريقة الوحيدة لمعرفة هذا الشيء، هي أن تتصل بها.

ردت جسيكا درايرون سريعاً، وقالت:

ـ كم أنا مسرورة لسماع صوتك!... كنت أتساءل عن رأيك برسالتي.. أنا لا أكتب رسائل عادة.. لكنني كنت مبتهجة لمجيئك لمقابلة إيڤان.

ـ قلت إنه ذكرني؟

ـ مرات عديدة.. اسمعي، لماذا لا تأتين لزيارتي بعد ظهر يوم قريب لنتمكن من التحدث؟ أنت لا تعلّمين الآن أليس كذلك؟

ـ لقد أقفلت المدرسة أبوابها منذ أسبوع.

ـ هذا ما ظننته.. هلاّ زرتني في الأسبوع القادم؟ سأستمتع فعلاً بالتحدث إليك.

ترددت ماري جو.. فأول لقاء لها مع عائلة إيڤان، انتهى بكارثة، وقد خرجت منه وهي على يقين من أن حبهما ليس لديه أي فرصة.. ولقاء آخر قد يؤدي إلى كارثة مماثلة.

www.elromancia.com

وجدت ماري جو نفسها تقول:

- سيسرني هذا كثيراً.

- عظيم.. ما رأيك في بعد ظهر يوم الثلاثاء القادم؟ تعالي لتناول الغداء، وسنجلس في الشرفة لنتحدث طويلاً.

- يبدو لي هذا رائعاً.

ذلك المساء، تساءلت ماري جو عن سبب تلهف جسيكا للقائها.

كانت ماري جو معجبة بغاري.. معجبة به حقاً. وإن كانت لا تدري لماذا عليها أن تذكّر نفسها بهذا دائماً.. ولا تريد أن تعرف.

منذ أنهت علاقتها بإيڤان وضعت العلل في كل رجل خرجت معه.. مهما كان جذاباً أو ناجحاً أو ظريفاً.. إنما كل ذلك لا يهم.

«غاري لطيف جداً».. هذا ما كانت تكرره لنفسها دائماً. غير أنه، ولسوء الحظ، ممل جداً. فهو يتحدث باستمرار عن الغولف، والبولنغ، وعن انتصاراته في كرة اليد.. لا يتحدث أبداً عن موضوع يهمها. أدركت منذ بداية علاقتهما أنه ليس كإيڤان. وبدأت تعتقد أن ما انجذب غاري إليه أكثر، هو طهو أمها.. لذلك اعتاد أن يزورها ظهر الأحد، وهي على وشك الذهاب إلى منزل أبويها..

قال غاري بعد أن فتحت له الباب:

- تبدين جميلة جداً اليوم.

وقدّم لها باقة قرنفل زهرية اللون، فأخذتها منه مبتسمة.

- أهلاً غاري.

قبّل خدها.. لكن القبلة بدت روتينية ينقصها الحماس. تمتم:

- كيف حالك؟

وجلس على كرسي هزاز قرب المدفأة.

وبالرغم من أن غرف شقتها صغيرة، إلا أنها مزينة بدقة وعناية.. فقد أعطت غرفة الجلوس مظهراً أميركياً قديماً.. وكان أخوها لوثي،

البارع بالأعمال الخشبية الجميلة، قد حفر لها نسراً خشبياً للميلاد علقته فوق المدفأة. وإضافة إلى الكرسي الهزاز كانت قد أثثتها بصوفا صغيرة وخزانة قديمة من السنديان أصلحتها بنفسها..

قال غاري وهو ينظر حوله وكأنه يرى الغرفة لأول مرة:

- أنت محظوظة.. أتعرفين؟

- ماذا تعني؟

- أولاً، لست مضطرة للعمل صيفاً.

كان هذا تعليقاً قديماً سئمت ماري جو سماعه.. فالمدرسة لا تفتح أبوابها خلال شهرين ونصف. وأكمل:

- لديك الوقت الكافي لترتبي هذا المكان كما تودين. أنت تتمتعين بمواهب حقيقية.. أما منزلي ففي حالة فوضى. لكنني لا أتواجد فيه سوى ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع.

لعله يلمح إلى حاجته لمساعدتها لترتيب منزله، ولكنها لن تبلع الطعم.

وسألها بحبور:

- هل أنت متوجهة إلى منزل أبويك؟ لا أقصد أن أتطفل، لكن يبدو أن عائلتك لا تمانع.. فنحن متفاهمان.. أليس كذلك؟

هذا خبر جديد بالنسبة لماري جو: «متفاهمان؟»

- أجل.. نحن.. لست أدري، نخرج معاً.

- أعتقد أننا صديقان.

وهذا كل ما تريده ماري جو من علاقتها بـ«غاري».

تجهم وجه غاري، واستفهم: «مجرد صديقين؟!».

واتجهت عيناه إلى باقة القرنفل التي حملها لها. فسألته وهي تكتّف ذراعيها:

- متى خرجنا معاً آخر مرة في موعد حقيقي؟

ـ أتعنين إلى السينما أو شيء من هذا القبيل؟

ـ بالتأكيد.

ـ لقد ذهبنا إلى مباراة «ردفوكس». ألا تذكرين؟

ـ كان هذا في نيسان الماضي.

قطب غاري، وعلّق:

ـ ياه!.. منذ زمن بعيد! الوقت يمر بسرعة.. أليس كذلك؟

ـ بكل تأكيد.

دعك غاري وجهه، وقال:

ـ أنت على حق يا ماري جو.. لقد اعتبرت علاقتنا أمراً مسلماً به، أليس كذلك؟

كادت تقول له أنْ ليس بينهما في الواقع أي تفاهم.. لقد استغلته لإبعاد الوحدة عنها.. وكي لا يقلق أهلها عليها.. لكنها لم تكن فخورة بدوافعها.

مد غاري يده إلى يدها. وقال بصوت نادم:

ـ ما رأيك بالذهاب إلى السينما، بعد ظهر اليوم؟ سنذهب بعد العشاء فوراً من منزل والديك. ولسوف ندعو كل من يريد مرافقتنا. لن تمانعي.. أليس كذلك؟

كان غاري يحاول جهده، لم يكن ذنبه أنه ليس إيڤان درايرون.. باغتتها هذه الفكرة، فقالت بحزم:

ـ تبدو لي فكرة عظيمة.

وصممت على قضاء وقت ممتع. فعودة إيڤان إلى حياتها، ولوقت قصير، لن تدفعها إلى التفكير في المستحيل.. إن الفوارق بينهما شاسعة.

ـ عظيم.. دعينا نذهب الآن إلى بيت أهلك!

ـ حسن جداً.

شعرت ماري جو بأنها أفضل حالاً.. علاقتها مع غاري لم تكن مثالية، أو قريبة من المثالية.. لكنه صديقها.. ولطالما بني الحب والزواج على أساس أقل من هذا بكثير. حين وصلا كان أولاد وبنات أشقائها يلعبون مباراة كرة طائرة مثيرة، في فناء جانبي واسع.. فأوقف غاري سيارته خلف سيارة أخيها الأكبر وقال بحسرة:

ـ أحس بالسعادة حين أرى أفراد عائلتك مجتمعين فرحين.

ـ لدينا حصتنا من المشاكل أيضاً.

لكن أي خلاف، وهذا نادراً ما يحصل، يحل بسرعة. ثلاثة من أخوتها، جاك، ريتش، ولوثي، يعملون في الكهرباء مثل والدهم.. أما بيل ومارك فقد أصبحا ميكانيكيين، وفتحا معاً محلاً، وهي تتوقع لهما النجاح مع مرور الوقت.

قال غاري:

ـ لقد عرفتني على أخوتك كلهم.. أليس كذلك؟

فكرت ماري جو وهي تخرج من السيارة، أنه تعرّف إليهم جميعاً.. ولكنه قال وهما يتقدمان معاً نحو المنزل:

ـ أنا لا أعرف ذلك الشاب الذي يرتدي الكنزة الحمراء.

لم تنتبه ماري جو لسؤاله، لأن أمها خرجت في تلك اللحظة، ونزلت سلم الشرفة الأمامية بسرعة.. فاتحة ذراعيها ضاحكة مهلّلة.

ـ ماري جو! كم أنا سعيدة لأنك هنا.

وضمّت ابنتها طويلاً، ثم استدارت إلى غاري، وقبلت خده وهي لا تزال تبتسم. عادت ماريانا باهتمامها إلى ابنتها، قائلة:

ـ لن تحزري من جاء لزيارتنا!

في تلك اللحظة، رأت ماري إيڤان وهو يتقدم نحوهم. كان يرتدي بنطلون جينز وكنزة حمراء ويحمل ميني ابن أخيها البالغ من العمر ستة أعوام، تحت ذراعه، وشقيقته روبي التي تكبره بسنة، تحت الأخرى،

www.elromancia.com

وكان الاثنان يرفسان ويضحكان.

توقف إيڤان فجأة عند رؤيته ماري جو وغاري، واختفت الضحكة من عينيه.

تقدم غاري خطوة قائلاً:

ـ مرحباً. لا بد أنك أحد أخوة ماري جو.. ولا أعتقد أننا تقابلنا.. أنا غاري كوبلاند.

* * *

سألت ماري جو إيڤان، لحظة استطاعت الانفراد به:

ـ ماذا تفعل هنا؟

لزمها حوالى الساعتين لتختلي به.. كانا يقفان في المدخل ويمكن لأيّ شخص أن يقاطعهما في لحظة.

ـ إن كنت لا تذكرين.. أمك دعتني.

ـ جئت فقط لتحرجني.

شكّل العشاء تجربة محبطة لماري جو.. إذ انصب اهتمام الجميع على إيڤان.. أما الطريقة التي عامل بها غاري، فقد أغاظتها كثيراً. فمن نظر إليهما ظنهما صديقين قديمين. أخذ إيڤان يمازح غاري ويبادله النكات، وذهب إلى حد القول بأن أذني ماري جو تحمران كلما كانت محرجة أو منزعجة.

حين قال هذا، أحست ماري جو بالدم يتصاعد إلى أذنيها.. وشعرت بهما يحمران كثيراً. وما كدرها أكثر، تعامل الجميع مع إيڤان على أنه شخص مشهور!

قال لها إيڤان ببراءة:

ـ لم أقصد إزعاجك.

لكن ماري جو لم تنخدع. إنها تعرف سبب قدومه.. جاء ليذلها أمام عائلتها.. فقالت بأعصاب مشدودة:

ـ يمكنك أن تعتقد بي ما تشاء.. لكن، لا تحاول أبداً خداع عائلتي.

واستدارت لتبتعد عنه.. لكنه سرعان ما أمسك بكتفها وأدارها نحوه. بدا غاضباً مثلها.. والشرر يتطاير من عينيه.. حدّقا في بعضهما وقد بدت ملامحهما مشدودة... ثم قال أخيراً:

ـ أنا لن أخدع عائلتك أبداً.

رفعت كتفيها بحركة دفاع عن النفس:

ـ لكنك تودّ أن تجعلني أضحوكة.. ودعني أعطيك مثلاً.. كنت تعرف أنني لم أتزوج، ومع ذلك استدرجتني لأقر بنفسي بالأمر.

ضحك، معلقاً:

ـ أعتقد أنك مدينة لي بهذا.

إنه يسخر منها، وذلك منذ دخولها مكتبه الفاخر..

نظرت إليه بعينين ضيقتين وحذّرته قائلة:

ـ إبقَ بعيداً عن حياتي.

رد عليها بالحدة ذاتها: «بكل سرور».

في تلك اللحظة جاءت سالي، ابنة أخيها، تركض في الردهة ببراءة ابنة الخمس سنوات، غير مدركة للتوتر السائد بين الاثنين.. رفعت رأسها نحوهما، وحيّتهما: «مرحباً!».

ردّت ماري جو: «مرحباً حبيبتي».

وأجبرت نفسها على الابتسام. التفتت سالي إلى إيڤان بعينين متسعتين فضولاً:

ـ هل ستصبح عمي يوماً؟

فردت ماري جو فوراً: «كلا».

سألت سالي:

ـ ولماذا؟ إنه يعجبني أكثر من غاري.. وهو معجب بك أيضاً..

www.elromancia.com

أستطيع أن أعرف هذا. حين كنا نتناول العشاء، بقي ينظر إليك.. كما ينظر أبي إلى أمي أحياناً.

قالت ماري جو بإصرار:

ـ لكنني أخرج مع غاري.. وسيأخذني إلى السينما.. بإمكانك مرافقتنا إذا أردت.

هزت سالي رأسها:

ـ غاري معجب بك، لكنه لا يحب الأولاد كثيراً.

غاص قلب ماري جو بين ضلوعها، فقد لاحظت هذا.. لم يكن غاري معتاداً على الأولاد الصغار.. وصوتهم يوتر أعصابه.. في حين أن إيڤان سريع التآلف مع الكبار والصغار..

قالت سالي بجدية: «أتمنى أن تتزوجي إيڤان».

وتابعت ركضها حتى نهاية الردهة.

في تلك اللحظة جاء غاري يفتش عنها ووقف فجأة عند رؤيتها مع إيڤان. دس يديه في جيبيه بعدم ارتياح ظاهر، وقال:

ـ لم أقصد أن أقطع حديثكما.

ردت ماري جو بحزم:

ـ لم تقطع شيئاً.. والآن.. أي فيلم سنشاهد؟

وأدارت ظهرها لإيڤان لتتوجه نحو غاري.. كانت تعرف في داخلها أن سالي محقة.. فإيڤان هو الرجل المناسب لها.. وليس غاري.

قالت جسيكا درايرون وهي تفتح الباب لماري جو:

ـ أنا سعيدة جداً لمجيئك.

ـ شكراً لدعوتك.

نظرت حولها.. كان المنزل مؤثثاً بشكل عصري مريح، ويبدو أن داميان وجسيكا زوجان مثاليان. قادت جسيكا ماري جو إلى مطبخ

كبير، وهي تقول:

ـ فكرت في أن نتناول الطعام على الشرفة.. إذا لم يكن لديك مانع. إنه يوم جميل، وقد انتقيت بعض الورود من الحديقة.

خرجتا إلى شرفة تسوّرها أحجار الآجر، وفي وسطها طاولة زجاجية مستديرة مغطاة بقماش زهري اللون مزين بالورود.

قالت جسيكا:

ـ اجلسي وسأحضر كل شيء.

ـ دعيني أساعدك.

لم تكن ماري جو معتادة على أن يخدمها أحد، وسيزعجها أن تترك جسيكا تقوم بكل العمل وحدها. فلحقت بصديقتها الجديدة إلى المطبخ.. وحملت إلى الخارج إبريق الشاي بينما جاءت جسيكا بالطعام.

سألتها ماري جو: «أين آندي؟».

ـ يأخذ قيلولة.. وسنحظى بساعة كاملة من الهدوء، كما أرجو.

جلستا معاً، ونظرت إليها جسيكا بجدية وبدأت تتكلم:

ـ قد أبدو وقحة لأنني كتبت لك تلك الرسالة، لكنني كنت أتحرق شوقاً للتحدث إليك.

ـ أعترف أن الفضول هو الذي جاء بي إلى هنا.

توقعت ماري جو أن تشعر بالارتباك، لكن جسيكا كانت سهلة المعشر غير متكلفة بحيث أحست ماري بالراحة التامة وهي تسمعها تتابع الحديث:

ـ لقد عرفت إيڤان منذ طفولتي. كنا جيراناً، كبرنا معاً، وتعلقت به كثيراً أثناء مراهقتي.

فكرت ماري جو أنْ لا عجب أن تجد نفسها تحب جسيكا... فمن الواضح أن أمور مشتركة تجمعهما، خاصة بالنسبة لإيڤان! وتابعت جسيكا، تقول:

www.elromancia.com

- لا بد أنك عرفت أنني عملت مع إيڤان حين مثل إيرل كريس. ولهذا أمضينا كثيراً من الوقت معاً، فأخبرني عنك.

أخذت ماري جو تملس المنديل بتوتر على حجرها. فسألت، وهي تبقي رأسها منخفضاً:

- أعرف أنني جرحته في العمق.. أليس كذلك؟

لم تكن جسيكا تؤمن بتلطيف الكلام، لهذا أجابت:

- أجل. أنا لا أعرف ما الذي جرى بينكما، ولا الرجل الذي تركت إيڤان من أجله.. لكن من الواضح أن الأمور لم تجرِ كما توقعت.

- إن أمور الحياة لا تجري دوماً كما نريد.. أليس كذلك؟

وضعت جسيكا شوكتها، وقالت:

- كلا! لفترة ما، كنت مقتنعة بأن فرص زواجي من داميان ضئيلة جداً.. كنت أحب داميان، لكن الجميع بقي مصراً على تزويجي من إيڤان.. واعتقد داميان أنه يتصرف بنبل إذا ما تنحّى جانباً إكراماً لتوقعات العائلة.. أوه.. يا للسماء، ولتلك الأيام السوداء!

- لكنك أصلحت الأمور.

ابتسمت جسيكا بارتياح:

- أجل.. ولم يكن الأمر سهلاً.. لكنه يستحق العناء.. ولهذا السبب طلبت منك تناول الغداء معي.. أنا أدرك أن ما حدث بينك وبين إيڤان ليس من شأني.. وأعلم أنه سيغضب لو عرف أنني أكلمك. لكن.. (صمتت قليلاً، ثم أخذت نفساً عميقاً) أعتقد أنكما بقليل من الجهد تستطيعان استعادة ما كان بينكما.

همست ماري جو بأسف:

- لم يعد الأمر ممكناً.

- لم لا؟ أنا لا أعرف لماذا قصدت إيڤان، وهذا ليس من شأني.

لكنني أدرك أن الأمر تطلب منك شجاعة فائقة. وأنت الآن في منتصف الطريق تقريباً، يا ماري جو.. فلا تتراجعي.

تمنت ماري جو لو تستطيع تصديق ذلك.. لكن الأوان قد فات بالنسبة لها ولإيڤان.. إن أسباب فسخها للعلاقة لم تتغير.. لقد فعلت ذلك لأنها كانت مضطرة.. وفعلته بطريقة لا يمكن لإيڤان أن يسامحها عليها..

تمتمت بغصة: «أظن أن إيڤان يكرهني».

أصرت جسيكا قائلة:

- كلام سخيف. ولا أصدقه للحظة.

تمنت ماري جو أن تصدق كلمات صديقتها.. لكن جسيكا لم تكن حاضرة حين اقترح عليها إيڤان أن تستخدم محامياً آخر.. ولا رأت عينيه حين واجهته في ردهة منزل أهلها.. ولم تكن موجودة حين قدمته ماري جو إلى غاري. إنه يحتقرها، وهي لا تستطيع أن تلومه.

حثتها جسيكا:

- تذكري فقط ما قلته.. كوني صبورة مع إيڤان ومع نفسك. لكن، قبل كل شيء، لا تستسلمي، إذا اقتنعت تماماً بأنك لن تنجحي.. وأنا أتكلم عن خبرة.. لا أستطيع تصور حياتي دون داميان وآندي.. وأعتقد أن الأمر يستحق التضحية بشيء من الكبرياء.

بعد صمت قصير، حاولت ماري جو تغيير الموضوع فشرعت في تناول الطعام.. وتناولت مع صديقتها مواضيع مختلفة.

كانتا تتجادلان وهما تحملان الأطباق إلى المطبخ، وما أن وصلتا حتى رن جرس الباب. فقالت جسيكا:

- سأفتح.

أخذت ماري جو تنظف الأطباق بالماء وتضعها في جلاّية الصحون.. لقد أعجبتها جسيكا كثيراً.. فهي منفتحة وطبيعية، تتمتع

www.elromancia.com

بروح مرحة رائعة.. كما أنها تحب زوجها حباً عميقاً.

عادت جسيكا إلى المطبخ، قائلة: «إنه إيثان!».

كان صوتها مرتبكاً متوتراً.. ووقف إيثان متصلباً خلف زوجة أخيه.

- لقد جئت ببعض الأوراق لداميان.

فقالت ماري جو بارتباك: «أوه.. مرحباً إيثان».

نظرت جسيكا إلى ماري جو نظرة متوسلة ترجوها أن تصدق بأن هذا اللقاء ليس إلا صدفة.

وأطلق آندي صيحة حادة.. فاعتذرت جسيكا، وتركت ماري جو تقف قرب الجلاّية، وهي تتمنى أن تكون في أي مكان آخر من العالم.

وما أن ابتعدت جسيكا، حتى سألها:

- ماذا تفعلين هنا؟

- لقد ظهرتَ أنتَ فجأة في منزل عائلتي.. فلماذا صدمت لأنني في منزل شقيقك؟

ذكرها بحزم: «أنا تلقيت دعوة».

- وأنا كذلك.

بدا وكأنه لم يصدق.

- عظيم.. أعتقد أنك وجسيكا قررتما أن تصبحا صديقتين.. على أي حال، كنت أنوي الاتصال بك بعد ظهر هذا اليوم.

- بخصوص قضية والدي؟

- لقد تكلمت مع زميلي حول استثمارات أديسون.. ويبدو أن الأمر يتطلب إجراءات طويلة.

استندت ماري جو إلى رف المطبخ، وسألت:

- إجراءات طويلة.. تعني مكلفة.. أليس كذلك؟

تابع بلهجة مهنية:

- وفي الوقت عينه كنت سأتناقش معك في أمر أتعابي.

ردت متوترة: «حسن جداً».

- أعتقد أن المسألة ستكلّف ما لا يقل عن ستة أو سبعة آلاف دولار.

شهقت دون أن تتمكن من ضبط ردة فعلها.. فمثل هذا المبلغ يعتبر ثروة بالنسبة لأبويها.. ولها كذلك.

- وقد ترتفع الكلفة أكثر.

وهذه طريقة أخرى ليعلمها بأنه لا يريد استلام القضية.. وأحست ماري جو بحاجة مفاجئة للجلوس، فتقدمت نحو الطاولة، وسحبت كرسياً رمت بنفسها عليه.

- كنت على استعداد لفعل ما بوسعي.. لكن..

قاطعته وهي تقاوم جرحها وإحباطها:

- لا تكذب علي يا إيثان.

- أنا لا أكذب.

- ستة أو سبعة آلاف دولار مبلغ أكبر بكثير مما يستطيع والداي، أو أنا تحمّله. قد لا يكون كبيراً في نظرك..

- أنا مستعد للقبول بدفعات، أو قد يكون هناك طريقة أخرى.

- ماذا؟

- إذا وافقت بالطبع.

أحست ماري جو بأن الأمر لن يعجبها.

- وظيفة صيفية.. أنت لا تعملين الآن.. أليس كذلك؟

هزت رأسها إيجاباً، فأكمل:

- سكرتيرتي، السيدة ستيرلنغ، ستأخذ عطلة طويلة لزيارة أوروبا هذا الصيف.. وكنت أنوي استخدام موظفة مؤقتة.. لكن، بما أنني أذكر قدرتك على الطباعة ومهارتك في الإملاء..

- مهارتي في الطباعة هي أقل من المستوى، وأنا لا أعرف الاختزال.

www.elromancia.com

ابتسم، وكأن هذا لا يهم.. من الواضح أن ما يهمه هو تحطيم كبريائها لمدة شهرين.

- لكنك تتعلمين بسرعة.. أليس كذلك؟.

- حسن جداً.. أنا أتعلم بسرعة معقولة.

فتح يديه، وقال:

- هذا ما ظننته.. والآن.. أتريدين الوظيفة أم لا؟.

٣ - الكتاب الأسود

بدت السيدة ستيرلنغ سعيدة جداً لأن ماري جو ستكون البديلة عنها.. وقالت:

- العمل مع السيد درايرون متعة حقيقية.. فإيڤان ليس متطلباً أبداً، ولا أتذكر أنه تصرف بتسلط ولو لمرة واحدة.

وشكّت ماري جو في أن يكون الحال نفسه معها.

تابعت السيدة ستيرلنغ:

- كان من الممكن أن أتقاعد مع زوجي، لكنني أستمتع بعملي كثيراً، فقررت أن أبقى.. لم أحتمل فكرة ترك ذلك الشاب.. بشكل ما أعتبر إيڤان كابن لي.

قالت ماري جو بأدب:

- أنا واثقة من أنه يبادلك الشعور نفسه.

لقد أحرجها إيڤان أمام عائلتها وابتزّها لتعمل لحسابه.. وأضافت ماري جو:

- أنا مسرورة لحصولك على فرصة للسفر مع زوجك.

- لا يتخلّى أي رب عمل عن سكرتيرته لمدة شهرين كاملين.. فهذا مصدر إزعاج كبير له.. ومعْ ذلك، شجعني السيد درايرون على السفر مع دنيس.. بل أصرّ على ذلك.

كانت ابتسامة ماري جو باهتة. على أي حال، إيڤان يريدها رهن إشارته، وبقدر ما تكره الإذعان للضغط، إلاّ أنه لم يكن لديها أيّ خيار.. ستة أو سبعة آلاف دولار سوف تفلس أبويها مالياً.. وهو

www.elromancia.com

يعرف هذا..

حين قالت لأبويها إنها ستعمل لدى إيڤان، ابتهجا. بدا لوالدتها أنه الحل الأفضل.. وسواء خطط إيڤان لهذا أم لا، فإن توظيفه لها ساعد على تهدئة خاطر أبيها حول أتعابه فأن تدفع أيّ مصاريف إضافية من جيبها أمر لا يقبله نورمان سومرهيل، لكن تبادل الخدمات، إذا جاز التعبير، أمر لا يرفضه.

وخرج إيڤان من كل هذا مكللاً بالغار، خاصة أنه بنظر والديها لا يقدم على أيّ عمل خاطىء.

قالت السيدة ستيرلنغ: «سأتناول غدائي الآن».

وفتحت الدرج الأسفل من طاولتها وأخرجت حقيبة يدها.. ثم ترددت:

ـ ستكونين بخير لوحدك.. أليس كذلك؟

بذلت ماري جو جهدها لتبدو واثقة من نفسها، وأجابت:

ـ بالطبع..

كان مساعد إيڤان القانوني بيتر ماكنيكولز في إجازة للأسبوعين القادمين، لهذا، ستتعامل مع إيڤان مباشرة ولوحدها. ولم تكن ماري جو واثقة من استعدادها لهذا عاطفياً.

ما أن خرجت السيدة ستيرلنغ، حتى استدعى إيڤان ماري جو إلى مكتبه، فسارعت إليه وهي تحمل قلماً ودفتر ملاحظات، مصممة على أن تؤدي مهمتها، على أفضل وجه.. قال بصوت خشن عملي:

ـ تفضلي بالجلوس.

جلست ماري جو على حافة الكرسي، بظهر مستقيم، وكتفين متصلبتين.

مد يده إلى كتاب صغير، أسود الغلاف، وأخذ يقلب صفحاته الرقيقة، ليتفحص الأسماء المدوّنة فيه.. وأدركت ماري جو أن الكتاب

هو ما يعرف باسم «الكتاب الأسود» للعزاب. كانت تعرف أن إيڤان واحد من أشهر العزاب في بوسطن.. ولطالما اهتمت الصحافة بأخبار إيڤان درايرون الغرامية... قال:

ـ اطلبي دزينة من الورد الأحمر على أن ترسل إلى كاترين مور.

وأعطاها العنوان.. فأدركت ماري جو أنه في منطقة فخمة..

وتابع:

ـ اقترحي أن نلتقي على الغداء في الخامس والعشرين، حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف.

وذكر لها اسم أرقى مطعم في بوسطن.. ثم سألها:

ـ هل سجّلت هذا؟

ردّت بسرعة وحزم لئلا تكشف ما تشعر به:

ـ سأنفذه فوراً.

إنه يفعل هذا عمداً، يجعلها ترتب لقاء بينه وبين واحدة من عشيقاته الكثيرات كي يذلّها، ويلقّنها درساً. إنها طريقته ليعلمها بأنه شفي تماماً من غرامهما القصير العمر.. وأن هناك عدداً كبيراً من النساء يرحب باهتمامه.

حسن جداً.. لقد وصلتها الرسالة، بشكل واضح وجلي.. ووقفت تستعد للعودة إلى طاولتها.. فقال إيڤان:

ـ هناك المزيد.

عادت ماري جو إلى الجلوس، وبالكاد استطاعت متابعته وهو يتلو اسماً بعد اسم، ليتبعه برقم هاتف وعنوان.. وكل امرأة يجب أن تتلقى دزينة ورد أحمر، ودعوة على الغداء، مع اقتراح موعد ومكان محددين.

حين انتهى.. أحصت ماري جو ستة أسماء، ولا بد أن كل واحدة منهن أفضل منها من حيث المظهر والموهبة، والأهم، من حيث المركز الاجتماعي.

www.elromancia.com

كانت قد أنهت طلب الورود لتوها حين دخل داميان درايرون إلى المكتب.

اتسعت عيناه دهشة حين رآها تجلس وراء طاولة السيدة ستيرلنغ.. وقال: «مرحباً».

وقفت ماري جو تمد يدها:

ـ أنا ماري جو سومرهيل.. لقد التقينا للحظة وجيزة في الأسبوع الماضي.

لم تذكّره بلقائهما قبل سنوات فلا بد أنه نسيه.

حصل ذلك منذ أكثر من ثلاث سنوات... كان إيڤان وماري جو يبحران، والتقيا بداميان في الميناء.. وكوّنت أول انطباع لها عن شقيق إيڤان الأكبر، فبدا لها يومذاك متصلباً متباعداً. ومن الأحاديث السابقة مع إيڤان عن شقيقه، عرفت أنه محام جاد ونشيط، لا وقت لديه للمرح والعبث. وهو الآن قاض في المحكمة العليا، لكنه غالباً ما يمرّ بشركة المحاماة العائلية.. ويبدو جلياً أن الأخوين صديقان حميمان.

إن الرجل الذي قابلته على المركب ذلك اليوم، وهذا الذي يقف أمامها الآن، يبدوان مختلفين.. وهو لا يزال جاداً نشيطاً، لكنه أكثر استرخاء الآن، واقتنعت ماري جو أن الزواج والأبوة شكلا الفارق وأحست بسعادة حقيقية له ولجسيكا. سألها داميان:

ـ أنت تعملين في المؤسسة الآن؟

ـ ستسافر السيدة ستيرلنغ إلى أوروبا هذا الصيف.. ولقد عرض علي إيڤان العمل.

ـ لكنني كنت أعتقد.. (وصمت.. ثم أكمل مبتسماً) هل إيڤان هنا؟

ـ أجل.. سأقول له إنك هنا.

ومدت يدها إلى زر الهاتف الداخلي لتعلمه بوصول داميان، الذي

سار مباشرة إلى مكتب إيڤان.

كانت ماري جو تقلّب بعض الملفات حين سمعت إيڤان ينفجر ضاحكاً.. غادر داميان بعد بضع دقائق مبتسماً.. ووقف أمام طاولة ماري جو.. وقال بمرح:

ـ لا تدعيه يستضعفك.. لقد ذكرت لي زوجتي أنها دعتك للغداء في الأسبوع الماضي، لكنها لم تقل لي إنك ستعملين في المؤسسة.

تمتمت: «أنا.. لم أكن أعرف ذلك».

ـ هكذا إذن. يسرني أن تكوني معنا، يا ماري جو.. إذا كان لديك أيّ أسئلة أو ما يقلقك، فلا تترددي في الحديث مع إيڤان. وإذا تسبب لك بمشاكل، دعيني أعرف.

ـ شكراً لك.

وكانت تعني الشكر.. وإن لم تتصور نفسها تتذمر لأخ من تصرفات أخيه...

قررت تغيير موقفها حيال الأمر برمته. سوف تنسى دوافع إيڤان.. وستنظر بإيجابية إلى هذه الفرصة.. ستتمكن من مساعدة أبويها، دون صرف مدخراتها..

لم تعرف ماري جو حقيقة الأمور حتى يوم الأربعاء.. أول يوم عملت فيه لوحدها. أمضت السيدة ستيرلنغ اليومين الأولين من الأسبوع وهي تعرّف ماري جو على طريقة العمل في المكتب، وعلى نظام الملفات، كما أطلعتها على آخر قضايا إيڤان، فأحست ماري جو أنها قادرة على التعامل مع أيّ طارىء.

استدعاها إلى مكتبه حوالي الحادية عشرة، قائلاً:

ـ أحتاج إلى ملف ويليام جينكنز.

ـ سأحضره لك على الفور.

عادت إلى مكتبها وإلى خزانة الملفات، وأخذت تفتش عن الملف

المطلوب.. وجدت ثلاثة زبائن تحت اسم جينكنز، لكن أي منهم لا يحمل اسم ويليام. وبدأ قلبها يخفق وهي تسرع نحو درج ملفات آخر.

مرت خمس دقائق.. خرج إيڤان بعدها من مكتبه.. متوتراً، وسألها:

- هل هناك مشكلة؟

- أنا.. لا أجد ملف ويليام جينكنز. هل أنت واثق من أنه ليس على مكتبك؟

- وهل سأطلبه منك لو كان على مكتبي؟

وأحست بنظرته الباردة تضعفها، فأجابت:

- لا.. لا أعتقد هذا.. لكنه ليس هنا.

- يجب أن يكون هنا.. أذكر أنني أعطيته للسيدة ستيرلنغ يوم الإثنين.

فردت ماري جو على الفور:

- لقد أعدت كل الملفات إلى مكانها يوم الإثنين.

- إذن، لا بد أنك وضعته في غير محله.

- لا أذكر ملفاً عليه اسم جينكنز.

لم تشأ أن تخلق مشكلة، لكنها قرأت بدقة فائقة اسم كل ملف، وأعادت تفحص عملها.

- هل تعنين أنني لم أعد الملف؟ هل تعنين أنني كاذب؟

بدا أن الأمور لن تسير على ما يرام.. فقالت بصوت بطيء:

- كلا!.. كل ما أقوله هو أني لا أذكر أنني أعدت وضع ملف باسم جينكنز.

وتلاقت نظراتهما وتشابكتا في معركة صامتة. ضاقت بعدها عينا إيڤان قليلاً.. وشبك ذراعيه على صدره، وسألها:

- هل تفعلين هذا عمداً يا ماري جو؟

فرفعت ذقنها ترد نظرته بغضب:

- لا بكل تأكيد.. بإمكانك أن تظن بي ما تشاء، لكنني لن أفعل شيئاً كهذا، كإخفاء ملف هام..

تقدم إيڤان إلى الخزانة، وفتح الدرج الأعلى، وأخذ يفتش في الملفات كما فعلت. وبصمت، أخذت ماري جو تدعو الله ألا تكون قد غفلت عن رؤية الملف..

تمتم بشيء من الدهشة: «إنه ليس هنا!».

تنهدت ماري جو في داخلها ارتياحاً.. ثم سألها بنفاذ صبر:

- أين يمكن أن يكون؟

تقدمت ماري جو بضع خطوات نحوه، وقالت:

- هل تمانع في أن أفتش في مكتبك؟

أشار برأسه إلى الباب المفتوح، وأجاب: «بكل سرور».

فتشت في كومة الملفات على زاوية منضدته وفي حقيبة أوراقه، دون جدوى. ثم نظرت إلى الساعة، وتأوهت مجدداً في داخلها، وذكرته:

- لديك موعد غداء.

صاح: «أحتاج لذلك الملف!».

فردت بحدة: «أنا أبذل جهدي!».

- جهدك كما يبدو لا يكفي.. جدي لي ذلك الملف.

- سأقوم بهذا على نحو أفضل إن تركتني أفتش دون أن تقف وتراقبني. اذهب وتناول الغداء وسأجد ملف جينكنز.

تردد إيڤان، ثم نظر إلى ساعته، وراح يتمتم وهو يأخذ سترته ليرتديها:

- لن أتأخر.. سأتصل بك من المطعم.

- حسن جداً.

- في أسوأ الأحوال، يمكننا أن نعيد جمع الملف.

www.elromancia.com

وأخذ يزرّر السترة.. لطالما كان إيڤان أنيقاً.. وقف عند الباب، وقال: «اسمعي. لا تقلقي كثيراً.. لا بد أن يظهر الملف».

هزت رأسها.. فهي تشعر بالذنب ولو بدون سبب.. لكن الملف مفقود، وتشعر بالمسؤولية حيال هذا الأمر، بالرغم من أنها لم تره.

وبما أنها حملت غدائها معها، أخذت تتناوله وهي تفتش كل درجة على حدة.. وتبيّن لها أن السيدة ستيرلنغ منظمة إلى أبعد الحدود..

كانت ماري جو تجلس على السجادة، والملفات منثورة حولها حين اتصل إيڤان، ليسأل:

- هل وجدته؟

- لا.. أنا آسفة يا إيڤان.. سيد درايرون.

صمته الطويل زاد من إحساسها بالذنب والارتباك.. كانت مصممة على أن تؤدي مهمتها جيداً، ومع ذلك فها هي تخذله، وفي أول يوم عمل لها.

حين عاد إيڤان إلى المكتب كانت قد أعادت كل شيء إلى مكانه.. فأجرى مكالمة لإعادة جدولة مواعيد ويليام جينكنز، موفراً عليها مهمة اختلاق عذر.

في الساعة الثالثة رن جرس هاتفها.. وعرفت صوت غاري، فتأوهت في سرها.

- كيف عرفت أين تتصل بي؟

جاء صوتها هامساً، فلا شك أن إيڤان لن يسمح لها بالاتصالات الخاصة.. لا سيما من صديق.

- قالت لي أمك إنك تعملين الآن لدى الرجل الثري.

أدهشها احرار الغضب الذي أحست به:

- لا تدعه هكذا!

صمت غاري، وقد فاجأه ردها الثائر، ثم قال:

- أعتذر. أنا لم أتصل لأتشاجر معك.. بل أردتك أن تعرفي أنني فكرت بحوارنا يوم الأحد الماضي.. ما رأيك بالعشاء معاً ثم الذهاب للرقص هذا السبت؟

- أوه.. يمكننا أن نتحدث في هذا فيما بعد.

- نعم أم لا؟ ظننتك ستفرحين.

- الاتصال بي في المكتب ليست فكرة جيدة يا غاري.

- لكنني سأكون في مركز الإطفاء حين تنهين عملك. واعتقدت أنك تريدين أن نقضي وقتاً أطول معاً.. هذا ما قلته.. أليس كذلك؟

وهل قالت هذا؟ لا تعتقد. ليس بالضبط.

- حسن جداً.

وأكمل غاري حين صمتت:

- أنا مسرور لأنك فاتحتني بالموضوع، فأنا لا أجيد أخذ المبادرات في علاقاتي.. وأريدك أن تعرفي كم أنا مسرور برفقتك.

- حسناً.. سأرافقك مساء السبت.. في أي وقت؟

كانت تعرف أنها الطريقة الوحيدة لإبعاده عن الهاتف بسرعة.

- السادسة.. جيد؟ سآتي لآخذك.

- السادسة وقت جد.

- سنقضي وقتاً رائعاً ماري جو.. سترين.

لم تكن مقتنعة أبداً بما قاله.. لكنها افترضت أنه لا يحق لها التذمر.. فغاري وبلهفته لإرضائها فعل بالضبط ما طلبته منه.. وبصراحة، العشاء مع غاري، أفضل من الجلوس في البيت لوحدها.

ما أن وضعت سماعة الهاتف حتى فتح إيڤان الباب، ورمقها بنظرة قاسية.. لم يقل شيئاً عن المكالمات الشخصية.. ولم يكن مضطراً لذلك.. وتصاعدت الحمرة إلى خديها. قالت:

- كان.. كان هذا غاري.

رغبت في أن تسدد لنفسها ضربة لإعطائه هذه المعلومة وأضافت:

- لقد شرحت له أنني لا أستطيع تلقي مكالمات شخصية في المكتب.. ولن يتصل مرة أخرى.

قال: «جيد».

وأقفل الباب بحدة، كأنما ليؤكد على عدم رضاه.. وعادت إلى الرسالة التي كانت تطبعها على الكمبيوتر.

وقبيل الساعة الخامسة، جمعت ماري جو الرسائل التي تحتاج إلى توقيع إيثان، وحملتها إلى مكتبه. كان يقرأ تقريراً، فرفع نظره إليها بعد أن دقت بلطف ودخلت.

وضعت الرسائل غير الموقعة على زاوية منضدته:

- هل هناك ما تريدني أن أفعله قبل أن أذهب؟

هز رأسه، وأجاب:

- لا شيء.. شكراً لك.. ليلة سعيدة آنسة سومرهيل.

بدا متصلباً ورسمياً جداً.. وكأنها ما عنت له يوماً شيئاً.

- عمت مساء سيد درايرون.

واستدارت بسرعة، لتخرج من المكتب.

بعد تبادلهما الكلام الحاد بالنسبة للملف الضائع، تصرفا بتهذيب بارد مع بعضهما خلال ما تبقى من اليوم. وإذا كان في نيته معاقبتها.. لما استطاع اختراع وسيلة أفضل من هذه. فهي تحب إيثان، ولم تتوقف يوماً عن حبه.. مهما حاولت إقناع نفسها بالعكس. أن تكون معه كل يوم، وتحافظ على هذه الواجهة الهشة، المهنية، هو أقسى أنواع العذاب.

ما أن وصلت إلى بيتها حتى خلعت حذاءها، ورمت بنفسها في الكرسي الهزاز محاولة الاسترخاء. لم تعمل بعد أسبوعاً كاملاً مع إيثان، وها هي تتساءل عما إذا كان بإمكانها أن تستمر ليوم آخر، فكيف

بالصيف كله؟!

قالت مريانا سومرهيل وهي تقطّع الدجاج لتحضير السلطة:

- ما لا أفهمه.. هو لماذا انفصلت أنت وإيثان عن بعضكما؟

- أمي.. أرجوك.. كان هذا منذ زمن طويل.

- ليس طويلاً جداً.. سنتان أو ثلاث.

سألت ماري جو آملة أن تغير أمها الموضوع:

- هل تريدين أن أحضر المائدة؟

لم تكتشف ماري جو الهدف وراء هذه الدعوة على العشاء، مما أظهر بوضوح مدى تعبها، ومدى ضعف دفاعاتها. فقد اتصلت بها أمها الليلة الماضية، وأصرّت على أن تأتي لتناول العشاء معهم بوجود «ضيف لطيف».

سألها أبوها وهو يجلس إلى طاولة المطبخ:

- إذن، كيف حال العمل؟

فقالت ماري جو: «عظيم».

وتكلّفت الابتسام.. فهي لا تريد أن يكتشف والديها ثمن هذه الوظيفة عاطفياً.

وضعت الأم السلطة وسط المائدة، وقالت:

- كنت أقول لماري جو كم أن إيثان درايرون شاب رائع.

وسحبت كرسياً لتجلس عليه.

- إنه شاب شريف.. كنت تخرجين معه منذ مدة، أليس كذلك؟

- أجل.. بابا.

- وبدا لي أنكما جادان.

حين لم ترد فوراً، تابع:

- حسبما أذكر، أعطاك خاتم خطوبة.. ألم يفعل؟ ولقد زارنا مرة على العشاء هنا.. فما الذي حدث يا ماري جو؟ هل أخافته عائلتنا؟

كيف يمكن أن تشرح لهما، أن ابنتهما الوحيدة، التي يحبانها كثيراً لم تكن تليق بآل درايرون «العظماء»؟ حين التقت ماري جو والدة إيڤان، أحست بخيبة أمل تلك المرأة. فلويز درايرون كانت تبحث في «كنتها» عن أكثر مما تملكه ماري جو.. وفي حديث تبادلاه بعد العشاء، حاولت توضيح الأمور. مصير إيڤان أن يدخل معترك السياسة، ولسوف يحتاج إلى زوجة من نوع معين.. كما شرحت السيدة درايرون بلطف.. ولقد لمحت بشدة إلى أن ماري جو سوف تقف في وجه طموحات إيڤان السياسية.. وقد تدمر حياته.. ذكريات ماري جو عن تفاصيل الحديث كانت مشوشة.. لكنها فهمت رسالة السيدة درايرون جيداً.

إيڤان يحتاج إلى امرأة مناسبة.. اجتماعياً وسياسياً.. وكونها ابنة كهربائي، لا يمكن لماري جو أن تكون تلك المرأة.. وهذه خلاصة الحديث.

- ماري جو؟

صوت أمها القلق قاطع ذكرياتها.. فهزت رأسها وابتسمت:

- أنا آسفة يا أمي.. ماذا كنت تقولين؟

- طرح عليك والدك سؤالاً.

شرح لها نورمان:

- عنك وعن إيڤان.. لقد ظننت أنكما كنتما جادين.

اعترفت، وهي لا ترى مفراً:

- كنا، في يوم ما.. حتى أننا كنا مخطوبين.. لكننا.. افترقنا.. وهذه أشياء تحدث، كما تعرف. لحسن الحظ، أدركنا هذا قبل فوات الأوان.

- لكنه شاب لطيف جداً.

- إنه ساحر يا أمي.. لكنه ليس الرجل المناسب لي.. وأنا أخرج

الآن مع غاري.

تبادل الأبوان نظرات ذات معنى. فسألت:

- ألا يعجبكما غاري؟

قالت ماريان:

- طبعاً يعجبنا، ولكن المسألة.. إنه لطيف جداً، وودي يا ماري جو.. لكنني لا أعتقد أن غاري هو الرجل المناسب لك.

قال والدها ببطء وهو يضع الزبدة على قطعة الخبز:

- يبدو لي أن هذا الشاب يهتم بطبخ أمك أكثر مما يهتم بك.

إذن، لاحظت عائلتها هذا الأمر، وغاري لا يخفيه.

- غاري مجرد صديق.. ولا داعي للقلق.. علاقتنا ليست جدية.

تفرّست ماريان بابنتها، وسألتها:

- وماذا عن إيڤان؟

ردت ماري جو بخفة:

- أوه.. إيڤان صديق كذلك.

لكنها لم تقتنع بما قالته.. وشكت كثيراً في أن يعودا صديقين مرة أخرى.

في وقت متأخر من مساء الجمعة، وقبل أن تغادر المكتب في نهاية الأسبوع، استدعى إيڤان ماري جو.

كان مشغولاً بالكتابة، وانتظرت إلى أن انتهى، ثم سألت:

- أردت رؤيتي؟

قال دون تركيز: «أجل».

ومد يده إلى غلاف ملف، ثم أضاف:

- قد أحتاج إليك في الغد.

- يوم السبت؟

- لا بد أن السيدة ستيرلنغ أعلمتك أنني قد أحتاج أحياناً لأن

www.elromancia.com

تسافري معي.

رفعت كتفيها، وردت: «لا.. لم تقل لي».

استطاعت أن تخمن نواياه.. سيحاول أن يمنعها من رؤية غاري ليلة السبت.. رجل يتناول الغداء مع امرأة مختلفة كل يوم من أيام الأسبوع، ويريد أن يخدعها ليُفشل موعد العشاء الوحيد مع صديقها.

ـ سأحتاج إليك بعد ظهر الغد، وفي المساء. فأنا مسافر إلى...

ـ ولكن، وضعت مشاريع لبعد ظهر الغد، وللمساء.

فقال بتكبر:

ـ إذن، أقترح عليك أن تلغي هذه المشاريع.. فحسب شروط اتفاقنا، ستكونين بتصرفي لمدة شهرين. وأنا أحتاج إليك هذا السبت، بعد الظهر وفي المساء.

ـ أجل، ولكن..

ـ هل أذكرك بأنك تتقاضين تعويضاً جيداً عن وقتك؟

يجب أن تمسك أعصابها جيداً كي يبرد غضبها المتصاعد.. فهي لم تنخدع.. ولا للحظة. إن إيڤان يفعل هذا متعمداً.. لقد استرق السمع إلى حديثها مع غاري.

ـ وإذا رفضت؟

ـ إذن، سأضطر إلى طردك.

كانت كرامتها تدفعها إلى أن تتخلى عن وظيفته لكنها اضطرت إلى إغماض عينيها للسيطرة على نفسها، وقالت:

ـ أنت تفعل هذا متعمداً.. أليس كذلك؟ أنا على موعد مع غاري ليلة السبت، وتعرف ذلك وتريد أن تفشله.

مال إيڤان إلى الأمام في كرسيه الجلدي الأسود.. وبدا كأنه يزن كلماته بعناية:

ـ بالرغم مما تعتقدينه.. أنا لست رجلاً منتقماً. لكن، يا آنسة

سومرهيل.. لا يهمني أبداً ما تظنينه.

شدّت على أسنانها حتى آلمتها، وقالت بهدوء:

ـ أنت على حق طبعاً.. رأيي لا يهم.

واستدارت على عقبيها لتخرج من مكتبه.

وصلت إلى مكتبها ورمت بنفسها على كرسي.. رفعت مرفقيها إلى الطاولة، ودفنت وجهها بين يديها. إن هذا الموعد مع غاري ليس مهماً جداً، لكن أزعجها وأغضبها أن يتعمد إيڤان إفساده.

ـ ماري جو.

أنزلت يديها لترى إيڤان واقفاً أمام طاولتها. نظرا إلى بعضهما للحظات طويلة، ثم أشاحت بوجهها عنه.. أرادت أن تمحو الماضي، وأن تجد الرجل الذي أحبته يوماً.. لكنها تعرف أنه يريد جرحها، ويريدها أن تدفع ثمن الألم الذي سببته له.

سألته بصوت لا تعبير فيه، دون أن ترفع عينيها إليه:

ـ في أي وقت تحتاج إلي؟

ـ الثالثة والنصف.. سأصطحبك من منزلك.

ـ سأكون مستعدة.

وساد صمت متوتر، حتى دخل داميان إلى الغرفة.. تسمّر حين لاحظ ملامحهما.. وأخذ ينقّل نظره من إيڤان إلى ماري جو.

ـ هل قاطعتكما؟

استعاد إيڤان رباطة جأشه، وسارع لطمأنة أخيه:

ـ كلا!.. بماذا أخدمك يا داميان؟

لوّح بملف يحمله:

ـ لقد قرأت ملف جينكنز كما طلبت مني. وسجلت بعض الملاحظات.. وفكرت في أنك قد تودّ مراجعتها معي.

استرعى اسم جينكنز انتباه ماري جو، فسألته بانفعال:

www.elromancia.com

- هل قلت جينكنز؟

- أجل، لقد أعطاني إيڤان الملف منذ أيام، وطلب مني إبداء رأيي.

- أنا فعلت هذا؟

وبدت على ملامح إيڤان الصدمة الحقيقية. قطب داميان، وسأله:

- ألا تتذكر؟

قال إيڤان:

- لا.. يا للسماء.. كنا نفتش عنه، منذ الأمس.

فقال داميان موبخاً:

- كل ما عليك أن تفعله يا أخي الصغير، هو أن تسألني.

واختفى الرجلان في مكتب إيڤان، بينما أنهت ماري جو ترتيب مكتبها.. وبعد حين، خرج داميان من المكتب وهي تجمع أشياءها الشخصية، فقال وهو في طريقه إلى الباب:

- يود إيڤان أن يراك للحظة.

كان إيڤان يقف قرب النافذة حين دخلت بعد أعادت أغراضها إلى المكتب.

- أردت رؤيتي؟

كان ينظر إلى الشارع وكتفاه منخفضتان وكأنه متعب.. واستدار ليقول بهدوء:

- أعتذر عما بدر مني بخصوص ملف جينكنز. كنت مخطئاً. لقد أعطيته فعلاً لداميان ليقرأه.. ثم نسيت.

فاجأها اعتذاره، وتمتمت: «ما من مشكلة».

أكمل، وقد انخفض صوته قليلاً:

- بخصوص الغد، لن أحتاج إليك.. تمتعي بأمسيتك مع حبيبك.

* * *

٤ - اتبعي قلبك

سأل جاك شقيق ماري جو الأكبر: «هل سيأتي إيڤان؟».

فقالت زوجته كاثي:

- سمعت أنك تعملين عنده الآن... (وغمزت بعينها مضيفة) يا لك من محظوظة!

كانت عائلة ماري جو تجلس حول طاولة الطعام الكبيرة.. وقد ركز الجميع اهتمامه على ماري جو. فقالت بجفاء غير مرتاحة لأسئلتهم:

- السيد درايرون لا يبلغني بخططه.

قطب والدها وسألها بحيرة:

- وهل تنادينه بالسيد درايرون؟

- أنا موظفة عنده.

ذكرت ماريانا زوجها، وكأنها تبوح بمعلومات هامة:

- والده سيناتور.

ولم يستسلم الأب، كما ودّت ماري جو، بل قال:

- ظننتك قلت إنه صديق؟

- إنه صديق فعلاً.. لكن، من الضروري المحافظة على نسبة من اللياقة وأنا موظفة في مؤسسته.

وفكرت ماري جو بشيء من الخبث: هذا رد جيد.. رد لا يمكن لأبيها أن ينتقده. سألتها أمها:

- هل دعوته إلى الغداء يوم الأحد؟

www.elromancia.com

- كلا.

تنهدت ماريانا بخيبة أمل، وقالت:

- في الأسبوع القادم سأدعوه بنفسي.. نحن مدينون له بالكثير.

أرادت أن تقول لأمها، بأن رجلاً مثل إيڤان درايرون، لديه مشاغل أهم من عشاء مع عائلتها.. لقد حضر مرة كبادرة صداقة، وليس من المنطق أن يعود مرة أخرى.. سألها جاك:

- كيف تسير قضية استثمارات أديسون؟ هل عرفت شيئاً؟

ردت ماري جو:

- ليس بعد.. لقد طلب إيڤان من السيدة ستيرلنغ أن تطبع رسالة في الأسبوع الماضي، وأعتقد أنها أرسلت نسخة بالبريد لأبي وأمي.

فقال الأب: «أجل.. لقد فعلت».

قالت ماري جو:

- حسبما فهمت.. أعطى إيڤان.. السيد درايرون، استثمارات أديسون، مهلة أسبوعين للرد.. فإذا لم يرده منهم شيئاً، سيحضّر الدعوى.

عادت العائلة باهتمامها إلى الطعام، وتحوّل الحديث إلى مواضيع أخرى، فارتاحت غاري جو.. ثم، ومن حيث لا تعلم، ومن حيث لا تتوقع، سألتها أمها:

- كيف كان موعد العشاء مع غاري؟

توقفت ماري جو عن المضغ، وتسمّرت الشوكة أمام فمها.. ثم تمتمت بعد أن ابتلعت: «على ما يرام».

وإذ لاحظت أن اهتمام العائلة قد انصبّ عليها مجدداً.. سألتهم:

- لماذا تنظرون إلي جميعاً؟

ضحك لوثي، وأجاب:

- ربما لأننا نتساءل لماذا تخرجين مع شخص مثل غاري كوبلان في

حين يمكنك أن تخرجي مع إيڤان درايرون؟

فردت بصدق:

- أشك في أن يواعد إيڤان موظفاته.. فهذا الأمر يسيء إلى العمل.

تدخلت سالي الصغيرة:

- يعجبني إيڤان أكثر. ألست من رأيي يا عمتي ماري جو؟

اعترفت: «همم.. أجل».

كانت تعرف أنها لن تستطيع الكذب على عائلتها، فهم يعرفونها جيداً. وسألها أخوها الأكبر، وكأنه لاحظ ذلك لتوّه:

- أين غاري الآن؟ يبدو لي أنه حاضر دائماً..

قررت ماري جو أن الوقت مناسب للشرح، فقالت:

- لقد قررت أنا وغاري ألا نتقابل بعد الآن يا جاك.. فاهتماماتنا مختلفة.. ولقد افترقنا.

سألها الأب مفكراً:

- أليس هذا ما قلته لي سابقاً عن إيڤان درايرون؟

كانت ماري جو قد نسيت، في الواقع، أن هذا ما قالته بالضبط. أضاف والدها:

- يبدو لي أنك تفترقين كثيراً عن الناس مؤخراً.

فرمقت والدتها زوجها بنظرة عابسة.

- لو سألتني، لأخبرتك أن الأمر على العكس تماماً.

وأشارت برأسها مطالبة بإقفال الموضوع.

ستشتاق ماري جو إلى غاري بطريقة ما.. فهو صديق. وقد افترقا على أساس أن يحافظا على صداقتهما. وهي لم تكن تنوي إنهاء علاقتهما، لكن غاري اقترح عند العشاء أن يفكرا جدياً في مستقبلهما معاً. كانت تشعر بالراحة في علاقتهما السطحية، وها هو غاري يطالب بالمزيد.. أما هي، فلا تريد أكثر. أدركت أن أمله خاب..

لكنه بدا متقبلاً للأمر وممتناً لصراحتها.

قالت سالي بوقار:

- يعجبني إيڤان أكثر، على أي حال. ستدعينه الآن على العشاء.. أليس كذلك؟

- لست أدري يا حبيبتي.

ابتسمت الأم بثقة، وقالت:

- لكنني أعرف.. الأم تشعر بهذه الأشياء، ويبدو لي أن إيڤان درايرون هو الرجل المثالي لماري جو.

كان إيڤان في المكتب حين وصلت ماري جو مبكرة صباح الإثنين، فحضّرت القهوة بسرعة وحملت له فنجاناً.

كان يتحدث عبر الهاتف، لكنه رفع نظره إليها وابتسم شاكراً وهو يتقبل القهوة منها.. عادت إلى المكتب الخارجي مذهولة، وقد اعتراها شيء من الخوف... أيمكن لابتسامة منه أن تؤثر فيها إلى هذا الحد!

رن جرس الهاتف، فمدت يدها إليه، تستمتع بلعب دور سكرتيرة إيڤان.. جرى بينهما تصادم وخلافات لكن يبدو أنها حلت، في المكتب على الأقل.

- ماري جو.

كانت جسيكا تتكلم، وأجفلت ماري جو خوفاً من أن يسمعها إيڤان تستقبل مكالمة شخصية.. وهي لا تريد أن تعرّض علاقتهما السلمية للخطر.. فباب مكتبه مفتوح، وهو يراها من وراء طاولته. سألتها بصوت مهني محترف:

- هل لي أن أساعدك.

ترددت جسيكا أمام هذه اللهجة الباردة:

- هاي.. أنا جسيكا.

- أعرف هذا.

ضحكت جسيكا بخفة، وقالت:

- فهمت.. لا بد أن إيڤان يستمع إليك.

وجدت ماري جو صعوبة في إخفاء ابتسامتها، وردّت:

- هذا صحيح.

انخفض صوت جسيكا إلى الهمس:

- قال لي داميان إنك تعملين لدى إيڤان الآن.. ماذا حدث؟

وازنت ماري جو كلماتها بدقة:

- أعتقد أن هذه القضية تسمّى الابتزاز.

ضحكت جسيكا:

- الابتزاز؟ يجب أن أسمع القصة! هل هو مستعبد حقيقي؟

- لا.. ليس بالضبط.

- هل يمكن أن تهربي بعد ظهر يوم ما لتناول الغداء؟

- قد أستطيع تدبير أمر موعد غداء.. أي يوم تقترحين؟

- ما رأيك في ظهر الغد. هناك مطعم إيطالي في الطابق السفلي من مبنى «ويلمان»، وطعامه لذيذ.

- يبدو هذا مقبولاً.

ظهر إيڤان بالباب.. وتفرّس فيها عن كثب.. فابتلعت ماري جو ريقها وقد أزعجتها المراقبة الواضحة في تعابير وجهه... وتابعت بسرعة:

- أوه.. ربما أستطيع التكلم في التفاصيل معك فيما بعد.

ضحكت جسيكا مجدداً:

- يبدو من صوتك أن إيڤان يقف أمامك.

- أعتقد أنك على صواب.

بدت جسيكا مبتهجة جداً، وقالت:

- لا أستطيع الانتظار لسماع هذه الأخبار.. سأراك غداً.. و..

ماري جو..

- نعم؟

- هل فكرت في ما قلته لك؟ حول تصحيح مسار الأمور مع إيڤان!

- أنا.. أفكر بالأمر.

- جيد.. هذا عظيم، أراك غداً إذن.

أعادت ماري جو السماعة إلى مكانها، فرأت إيڤان يشيح ببصره عنها، ويصفق الباب خلفه... بدا وكأنه غاضب منها.. بل وكأنه مشمئز.

جلست مذهولة تقاوم غضبها المتزايد.. إنه غير عادل.. كان عليه أن يعطيها الفرصة لتشرح له على الأقل!

وتحولت ساعات الصباح، التي بدأت مشرقة وواعدة، إلى عدائية مباشرة. فقد تجاهلها إيڤان لما تبقى من ساعات الصباح، ولم يكلمها سوى عن أمور المكتب. وحتى في هذه المواضيع، جاء صوته بارداً عصبياً.. كل تصرفاته دلّت على أنه لا يطيق النظر إليها.

دون كلمة وداع، غادر المكتب ظهراً إلى موعد غدائه. وعاد في الواحدة والنصف، لحظة دخوله، أحست بحرارة جسمها تنخفض. وأخذت تفكر في ما إذا عليها أن تواجهه بخصوص تصرفه معها أم لا.

لقد تغير إيڤان. واعترفت بهذا لنفسها.. لا تذكر أنه كان مزاجياً هكذا. أحست وكأنها تسير نحو المجهول، خائفة من أن تقول أو تفعل ما يثيره.

فترة بعد الظهر، كانت شديدة الوطأة عليها. وبحلول الخامسة، عرفت أنها لن تتحمل المزيد من هذه المعاملة الصامتة.

كان المكتب هادئاً بعد أن غادر سائر الموظفين، حين تقدمت إلى بابه.. قرعته، ثم دخلت على الفور.. كان يعمل، وبدا وكأنه لم يشعر

بوجودها.. وقفت هناك بصمت، إلى أن رفع رأسه. قالت:

- هل أستطيع أن أكلمك لدقيقة؟

لاحظت الارتجاف الخفيف في صوتها.. في حين أنها تريد أن تبدو قوية واثقة... رفع حاجبه:

- هل هناك مشكلة؟

- أخشى أن يكون مركزي هنا غير ملائم.

ورفع حاجبيه هذه المرة، وسألها: «أوه؟ ولماذا؟».

بدا الشرح صعباً جداً... كما أن مزاجه يؤثر عليها.. فمجرد ابتسامة منه تفرحها.. وعبوسه يجرّها إلى اليأس.

- إنه.. هكذا.. غير ملائم.

- وهل أنا متطلب جداً؟

- كلا.

- غير منطقي؟

أخفضت نظرها وهزت رأسها نفياً.

- ما الأمر إذن؟

شدت على أسنانها:

- أريدك أن تعرف أنني لم أجرِ أيّ مخابرة شخصية من هذا المكتب خلال ساعات العمل.

- هذا صحيح.. لكنك تتلقينها.

- أؤكد لك أن غاري لم يتصل مرة ثانية.

رد بنعومة: «لكنه فعل».

- لم يفعل بكل تأكيد.

قال بصبر مبالغ فيه:

- ماري جو.. لقد سمعتك تحددين موعد غداء معه.

- كانت جسيكا المتصلة.. ذكر لها داميان أنه التقاني في المكتب،

فاتصلت لتقترح أن نتناول الغداء معاً.

تمتم: «جسيكا؟».

ولاذ بالصمت. قالت:

ـ من الأفضل أن أفتش عن وظيفة في مكان آخر.

واستدارت فجأة لتغادر المكتب. فتنهد وقال:

ـ ماري جو.. اسمعي.. أنت على حق.. وأعتذر.. فحياتك الخاصة، ومكالماتك، ليست من شأني.. وأعدك ألا يتكرر هذا.

وقفت ماري جو حائرة، فهي لم تكن تتوقع اعتذاراً.

أضاف: «أريدك أن تبقي.. أنت تقومين بعمل ممتاز. وأنا كنت غير عادل.. فهل ستبقين؟».

يجب أن ترفض. يجب أن تبتعد.. فلديها العذر الكافي.. يجب أن تغادر دون ندم. لكنها لن تستطيع.. بكل بساطة لن تستطيع.

ابتسمت ابتسامة حائرة، وهزت رأسها موافقة.

ـ أتعلم.. أنت لست سريع الغضب في العمل.

سألها بابتهاج:

ـ صحيح؟ هذا يدعو إلى الاحتفال! هل لا زلت تحبين الإبحار كما كنت يوماً؟

لم تقرب ماري جو الماء منذ أبحرا معاً آخر مرة في مركبه الشراعي.. وتمتمت: «أعتقد هذا».

ـ عظيم.. أسرعي إلى بيتك وبدّلي ملابسك، ثم قابليني في المرفأ بعد ساعة. سنرى ما إذا كنت لا تزالين ماهرة في الإبحار.

فكرة قضاء بعض الوقت مع إيڤان كانت أروع من أن ترفضها.. يجب أن تفكر ملياً قبل قبول دعوته، لكنها لم تفعل.. ومهما كان الثمن، سترافقه عن طيب خاطر.

سألها إيڤان بعينين مبتسمتين:

ـ أتذكرين حين علمتك الإبحار؟

لم تستطع منع نفسها من رد ابتسامته.. لقد كان صبوراً جداً معها يومها.

ـ أذكر حين خرجنا من المرفأ أول مرة.. كدت أصدم مركباً شراعياً آخر.

وضحكا معاً.. فسألها متلهفاً:

ـ هل نلتقي بعد ساعة؟

وشكّت ماري جو في قدرتها على رفض أي طلب له، فأجابت:

ـ لكن لا تطلب مني الخروج بالمركب من الميناء.

ـ اتفقنا.

قبل بضع ساعات كانت مقتنعة بأنها لن تستطيع العمل معه لساعة أخرى.. والآن.. ها هي، توافق على أن تلتقيه بعد ساعة، لدرس في الإبحار.

أسرعت إلى المنزل، وخلعت عنها ثيابها، وفي دقائق معدودة ارتدت بنطلون جينز، وقميصاً صوفياً، وحذاء الإبحار.

إنها لا تريد أن تفكر سوى بالأمسية التي تنتظرها.. ومن أجل هذه الأمسية، هي على استعداد لأن ترمي الماضي كله وراء ظهرها.. كي تمحو ذكريات ثلاث سنوات من الوحدة.

رأت إيڤان من بعيد وهو ينتظرها عند المرفأ. كانت الريح قوية، مما يعتبر مناسباً للإبحار.. أمسكت ماري جو بحقيبة يدها واجتازت موقف السيارات.. وحين وصلت إليه مد إيڤان يده إليها وكأنه يفعل هذا كل يوم، ودون تفكير أعطته يدها.

بدا أن كلاهما أدرك وفي الوقت عينه، ما فعلاه.. فاستدار إيڤان إليها بعينين متسائلتين وكأنه يتوقع منها أن تسحب يدها من يده.. فالتقت بنظراته، وابتسمت له ابتسامة مشرقة. قال:

www.elromancia.com

- لقد جئت بشيء نأكله.. أكاد أموت جوعاً.

وكادت ماري جو تسأله عن غدائه مع كاثرين مور، وتساءلت عما إذا كانت تلك المرأة أنيقة كما يوحي اسمها.

قفز إيڤان إلى المركب، ثم ساعدها لتصعد إلى سطحه. ونزل إلى الأسفل ليأتي بالسارية والشراع الرئيسي. سألته حين عاد:

- هل تريدني أن أجهز السارية والشراع؟

بدا مندهشاً ومسروراً للعرض. فأكملت:

- هذا أول ما علمتني إياه.. ألا تذكر؟ أذكر تلك المحاضرة المطوّلة حول أهمية دور القبطان ومسؤوليات الطاقم.. وكنت أنت القبطان المميز وأنا الطاقم المتواضع.

ضحك إيڤان، وحمل الهواء صوت ضحكته نحو البحر.

- هل تذكرين كل هذا؟

- وكأنه جرى بالأمس.

أشار إلى السارية:

- إذن هيا..

لكنه لم يدعها تقوم بالعمل كله وحدها.. بل تحركا معاً فربطا السارية مكانها.. وعملا معاً وكأنهما شريكان منذ سنوات.. حين انتهيا.. أدار إيڤان محرك القارب وخرجا من المرفأ.

كانت تستمتع بالوقت الذي تقضيه في الماء.. وأجمل ذكرياتها تلك الساعات التي أمضتها معه على قاربه. كان لإبحارهما معاً وقع رومانسي مجنون، وهما يشقان المياه، والريح تضرب وجهيهما.. ولسوف تحتفظ دوماً بذكرى تلك الأوقات مع إيڤان.

ما أن خرجا بأمان من المرفأ، حتى رفعا الشراع الرئيسي وانزلقا فوق المياه الزمردية. سألها بعفوية لم تخدعها:

- إذن، كنت تتحدثين مع جسيكا.. أليس كذلك؟

- عملت طوال وقتي معك.. مما لم يترك لي وقتاً للاجتماعيات.

بعثرت الريح شعر إيڤان حول وجهه، وأدركت، من طريقة زمّه لشفتيه، أنه يفكر في موعدها مع غاري في نهاية ذلك الأسبوع. وفكرت في أن تقول له بأن علاقتها بغاري انتهت. لكن، قبل أن تجد الفرصة المناسبة لفتح الموضوع، تكلم إيڤان مرة أخرى:

- هناك علبة دجاج مشوي تحت، هذا إذا كنت جائعة.

كررت: «دجاج مشوي؟».

لم تكن تعرف أن الإبحار يفتح الشهية، إلاّ أنّ إيڤان يعرف ضعفها أمام الدجاج المشوي على الطريقة الجنوبية. فتابعت قائلة:

- هل هو محضّر بالخلطة السرية من التسعة توابل، ومعه سلطة الملفوف؟

رفع إيڤان حاجبيه وابتسم بمكر:

- يبدو أنني لم أنسَ حبك لنوع معين من الدجاج.. وهناك بعض المرطبات أيضاً.

لم تحتج ماري جو لدعوة أخرى كي تنزل. وعبّأت الأطباق، وجاءت بزجاجة المرطبات وكأسين، وحملتها بحذر من المطبخ الصغير إلى سطح المركب.

جلست إلى جانب إيڤان، وطبق طعامها متوازن على ركبتيها. تناولت العشاء، وهي تتلذذ بكل قضمة.. ولا بد أنها أظهرت شراهة كبيرة، لأنها لاحظته يتفرس فيها.. وسألته: «ما بك؟».

ضحك، وقال:

- إني أستمتع بالنظر إلى امرأة تتلذذ بطعامها... هذا كل شيء.

- أعلمك أنني لم أتناول الغداء.

لكنها لن تعترف له بأنها كانت تفقد شهيتها كلما فكرت به مع كاثرين مور.

- أرجو أن يقدر رب عملك إخلاصك.

- هذا ما أرجوه أنا أيضاً.

بعد أن انتهيا، جمعت ماري جو الأطباق وحملتها إلى الأسفل، ثم رتبت كل شيء في مكانه. وعادت لتجلس إلى جانب إيڤان.. أنهيا معاً شرب المرطبات، ثم سمح لها بالإمساك بدفة المركب، وقبل أن تنتبه، أحاطت ذراعاه بها.. وقفت جامدة، بالكاد تتنفس. بعد حين، استندت إلى الوراء على صدره، فأحست وكأن سنوات الألم الثلاث قد اختفت تماماً.. وعادا إلى ما كانا عليه من حب.

كانت تلك الأيام بريئة بالنسبة لماري جو.. ذلك الصيف، حين صدقت فعلاً أن ابنة كهربائي يمكن أن تدخل عالم إيڤان درايرون، عالم الغنى والنفوذ.

هبت الريح بقوة أكبر، وحل الظلام فوق الماء. وأدركت ماري جو، وبندم شديد، أن الوقت قد حان ليعودا إلى المرفأ.

ساد الصمت بينهما وهو يوقف المركب.. وأنزلا الشراع وطوياه معاً.

سار إيڤان معها إلى موقف السيارات المعتم.. فوقفت ماري جو إلى جانب سيارتها الصغيرة، كارهة أن تذهب. همست:

- لقد أمضيت وقتاً رائعاً.. شكراً لك.

- وأنا كذلك.. كان وقتاً جيداً جداً.

من السهل جداً نسيان الماضي، وإكمال الطريق من حيث توقفا.

حين ضمّها إليه فوق المركب، اختبرت إحساساً بالدفء والسعادة. لكن التعاسة غمرتها الآن، بثقلها الذي لا يحتمل. وهمست مجدداً:

- شكراً لك مرة أخرى.

واستدارت.. بيد مرتجفة أدخلت المفتاح في القفل وتمنت لو يذهب إيڤان قبل أن تقدم على شيء سخيف، قبل أن تنفجر بالبكاء. سألها:

- هل سترافقيني للإبحار مرة أخرى؟

وكادت ماري جو تقسم بأنه قال ذلك بحنان، وتردد. لكنها طردت هذه الفكرة السخيفة.. فإيڤان أكثر الرجال الذي تعرفهم ثقة بالنفس.

انتظرت ماري جو أن تتسارع الاعتراضات في ذهنها... ولاح منها الكثير. لكن، لم تجد واحداً يستحق التفكير. ليس الليلة..

- سأكون مسرورة جداً.

بدا غريباً أن يستمرا بالحديث وهي تدير ظهرها له، لكنها لم تجرؤ على الالتفات خشية أن ترمي بنفسها بين ذراعيه... واقترح بصوت منخفض:

- قريباً.

- متى؟

- السبت القادم.. بعد الظهر.

ابتلعت غصة في حلقها وهزت رأسها:

- في أيّ ساعة؟

- ظهراً.. لاقيني هنا. وسنتناول الغداء أولاً.

- حسن جداً.

من وقع أقدامه الخفيفة عرفت أنه ابتعد، فنادت:

- إيڤان.

استدارت ونبضات قلبها تتسارع، فاستدار نحوها، وانتظرها لتتكلم.

- هل أنت واثق؟

كان وجهه محاطاً بالظلال، لكنها رأت الابتسامة تشق طريقها إلى شفتيه.

- أنا واثق جداً.

ارتجفت ماري جو وهي تصعد إلى سيارتها. ها هو الأمر يتكرر مجدداً.. ماذا تأمل؟ كانت تعرف أنها ليست المرأة المناسبة لإيڤان..

www.elromancia.com

وفي النهاية ستواجه الحقيقة المؤلمة.. مرة أخرى. وستبتعد عنه..

حين رن جرس المنبه صباحاً، كانت عيناها كالجمر، ورأسها يضج، وأحست بأنها مرهقة واهنة. خرجت من السرير.. استحممت، وارتدت أول ثوب أخرجته من خزانتها.. ثم شربت فنجان قهوة وابتلعت قرصين من الإسبرين.

كان إيڤان في المكتب حين وصلت. فقال بمرح وهي تدخل:

- صباح الخير.

- صباح الخير.

- يوم جميل أليس كذلك؟

لم تلاحظ ماري جو ذلك. وجلست وراء مكتبها تنظر إلى شاشة الكمبيوتر الفارغة. جاءها إيڤان بكوب قهوة، فرمشت بعينيها وهي ترفعهما إليه.

- من المفترض أن أحضّر أنا القهوة.

- لكنني وصلت قبلك بدقائق.. تبدين بحاجة إليها.

بالرغم من بؤسها وجدت القوة لتبتسم، وقالت:

- هذا صحيح.

- ما بك؟ ليلة سيئة؟

أمسكت الكوب الساخن بكلتا راحتيها، وأجابت:

- شيء من هذا القبيل.. امنحني بضع دقائق وسأكون على ما يرام.

تحتاج إلى بضع دقائق لتجمع شمل شجاعتها وتقول له بأن لديها خططاً أخرى ليوم السبت ولن تستطيع أن تلقاه.. بضع دقائق لتذكّر نفسها بأنها قادرة على العيش من دونه.

كانت على وشك أن تقترح عليه أن يحدد لها موعداً مع طبيب نفسي، ثم غيرت رأيها. فسيعتقد أنها تمزح..

قال إيڤان:

- لقد تدبرت أمر البريد. وهناك رسالة من استثمارات أديسون.

هذه المعلومة جعلت ماري جو تجفل وتصحو، فسألت:

- ماذا تقول الرسالة؟

- لم أقرأها بعد.. لكن، ما أن أقرأها، حتى أخبرك. آمل أن تكون رسالتي قد أقنعتهم بالموافقة على إعادة المال.

دخل إلى مكتبه، لكنه ما لبث أن عاد. أعطى ماري جو الرسالة المختصرة، وهو يهز رأسه، فقرأت الجملتين الصغيرتين، وأحست بالغثيان والإحباط.. يجب أن تعترف أن بيل أديسون لبق، يسهل تصديقه، ويجب أن يكون هكذا، حتى يثق به والدها. فقد كرر قوله بأن لديه اتفاقاً موقعاً ينصّ على أن المبلغ الرئيسي لا يعاد إلا حين تنفذ شروط الاتفاق. سألته:

- هل تريد تحديد موعد مع والدي؟

فكّر إيڤان بالسؤال لبضع لحظات ثم أجاب:

- لا.. من الأفضل أن أمر بمنزلهما بنفسي، وأشرح لهما الأمر.. فهذه الطريقة أقل رسمية.

- عظيم.

وتمنّت ألا يقترح يوم الأحد.. فإذا زارهم بعد ظهر الأحد، سيتطوّع أكثر من فرد من أفراد العائلة ليخبره بأنها انفصلت عن غاري.

- لما لا نذهب سوية بعد العمل اليوم؟

- حسناً، سأتصل بهما وأعلمهما بالأمر.

فكرت في أن تحدد موعداً معهما، ثم تخترع سبباً كي لا تنضمّ إليه.. مثل ارتباطهما بموعد سابق..

هذا تفكير سخيف.. يجب أن تكون موجودة. إنها زيارة عمل.. وليست زيارة اجتماعية مع إيڤان.. ما من شيء تخشاه.

توصلت ماري جو إلى هذا الاستنتاج قبل أن يستدعيها إلى مكتبه.

www.elromancia.com

سألها وهو يقفل الباب خلفها:

- هل تشعرين بتحسّن؟

ابتسمت، وردت: «قليلاً».

أرادت أن تتقدم لتجلس، لكنه سد طريقها. أخذ يتأملها ملياً ثم قال:

- لدي ما قد يساعدك.

ظناً منها أنه سيقترح الإسبيرين، فتحت فمها لتقول له إنها أخذت قرصين.. لكن، قبل أن تتكلم، أخذ القلم ودفتر الملاحظات من يدها ووضعهما جانباً.

سألته بارتباك: «ماذا تفعل؟».

فضحك ضحكة صبيانية، وقال:

- ماري جو.. كما يقولون في الأفلام، سوف أضمُّك بين ذراعي حتى تفقدي وعيك!

* * *

انتفض قلب ماري جو حين شدها إيڤان بين ذراعيه.

كانت أنفاسه حارة على وجهها.. وتملكها إحساس رائع، لطيف، فتنهدت وأغمضت عينيها.

والتصق جسماهما، فأحست أن هذا الأمر طبيعي، مألوف، وصحيح. ثم تجمعت الدموع في عينيها، وهمس في أذنها:

- أردت القيام بهذا ليلة أمس.

وهي أرادته.. وخطر ببالها أن تأخير هذه اللحظة كان غلطة. فقد فكرا بها معاً، وتساءلا كيف ستكون، وتوقعا أن يعودا إلى ذراعي بعضهما مجدداً.

أحست بالارتياح لرنين جرس الهاتف.. وأخذ إيڤان يتمتم من بين أسنانه. قال وهو لا يزال يضمها:

- يجب أن نتكلم في هذا الأمر.

ابتعد عنها فسارعت إلى الهاتف على مكتبه. ولحسن الحظ، كانت المخابرة له.. ولم تكن جسيكا، أو أمها، أو غاري.

غادرت ماري جو المكتب، وغاصت ببطء في كرسيها. أغمضت عينيها وحاولت التفكير بما حصل. عاد إيڤان إليها بعد قليل وجلس على حافة مكتبها.. بدت عيناه سعيدتان كولد يعود إلى المدرسة في أول يوم بعد العطلة الصيفية.. وسألها:

- حسن جداً.. سوف نتصارح لأول وآخر مرة.

- نتصارح؟

- لا أعلم ما الذي حدث بينك وبين الرجل الذي وقعت في حبه منذ ثلاث سنوات.. لكن يبدو أن الأمر لم ينجح بينكما.. وهذا من حسن حظي.

نظرت حولها بارتباك، وقالت:

- إيڤان أرجوك! ليس هنا. ليس الآن.

كانت ترتجف في داخلها، وصدرها يؤلمها لشدة ما حاولت يائسة أن تضبط مشاعرها.. ففي النهاية ستضطر إلى الاعتراف بأنه لم يكن هناك رجل آخر. لكنها لم تكن متشوقة للاعتراف بكذبتها..

- أنتِ على حق، هذا ليس المكان المناسب. فنحن نحتاج إلى التكلم بحرية.

نظر إلى ساعته، وقال:

- يجب أن أكون في المحكمة قبل الظهر.

- أجل، أعرف هذا.

كانت ممتنة لخروجه من المكتب لبضع ساعات؛ فهي تحتاج إلى وقت للتفكير.. علماً أنها اتخذت قرارها! لن تكذب عليه مرة أخرى. فهي الآن أكبر سناً وأكثر نضجاً، وتدرك، ولو بأسى، أن أمه كانت على

www.elromancia.com

حق. وهي لن تستطيع دفع إيڤان قدماً نحو مستقبل واعد.

يجب أن تجد طريقة ما لتقنعه بأن علاقتهما لن تنجح... لكن، كيف ستفعل ذلك... لا تدري.

عادت باهتمامها إلى عملها.. جمعت البريد وانغمست بسرعة في العمل.. كما تأخرت خمس دقائق عن موعدها مع جسيكا.

انتظرتها صديقتها في المطعم الإيطالي، جالسة إلى طاولة في آخره.. وكان برفقتها امرأة تبدو كأنها الجدة، تحمل آندي وتسلّيه بقطعة خبز.

قالت جسيكا:

ـ نانا.. هذه صديقتي، ماري جو.

تمتمت ماري جو: «مرحباً».

وجلست. نهضت نانا وقالت بتصميم:

ـ سأحضر لكما الغداء.

وأعطت الصغير إلى أمه التي وضعته في كرسي مرتفع إلى جانبها.. ثم أعطته قطعة خبز أخرى، أبهجته..

عادت المرأة المسنّة بصينية عليها حساء الخضار بالمعكرونة، وسلّة خبز طازج ساخن.. وقالت:

ـ تمتعا بالطعام أولاً.. ثم تكلما فيما بعد.

فقالت جسيكا:

ـ نانا على حق، طبعاً.. لكن، أمامنا أقل من ساعة، وأنا متشوّقة لمعرفة ما جرى بينك وبين إيڤان.

ـ ليس هناك الكثير.

كلامها هذا بعيد عن الصحة.. وأخبرتها ماري جو كيف أقنعها إيڤان بالعمل عنده. وتوقعت تعليق إشفاق من صديقتها إلا أن جسيكا بدت سعيدة.

ـ أخبرني داميان أنه حصل سوء تفاهم بينكما حول ملف. وقال إن

إيڤان شك بأنك تفعلين ذلك عمداً. وحين ظهر داميان ومعه الملف، أحس بغلطته.

ـ هذا كله أصبح من الماضي الآن.

بينما يبدو المستقبل غامضاً أمامهما.. وهذا ما يقلقها.. فكّرت ماري جو في أن تفضي لجسيكا بعناقهما هذا الصباح.. ولو كانت جسيكا امرأة أخرى غير زوجة أخيه، لفعلت ذلك..

وضعت جسيكا ملعقتها في الحساء، وقالت:

ـ لقد سبق وشرحت لك أنني وإيڤان، عملنا معاً في المؤسسة وكنا صديقين حميمين.. لكن ما لم أذكره لك هو أنه كان يتحدث عنك دائماً.. لقد أحبك فعلاً يا ماري جو.

أخفضت ماري جو نظرها بغير ارتياح، فأكملت جسيكا:

ـ أنا لم أقل هذا لأجعلك تشعرين بالذنب، بل كي تعرفي أن مشاعر إيڤان نحوك صادقة وحقيقية. لم تكوني مجرّد هوى عابر بالنسبة له.. ولا أصدق أبداً أنه نسيك.

كادت ماري جو تختنق بالحساء.

ـ أتمنى أن يكون هذا صحيحاً. لقد رتبت له ما لا يقل عن ستة مواعيد غداء. وكل الأسماء كانت مسجلة في دفتر أسود صغير.. وكل دعوة مرفقة بدزينة من الورد الأحمر.

حتى تلك اللحظة، لم تدرك ماري جو مدى غيرتها، وكم كانت تعاني من مواعيده مع صديقاته. قالت جسيكا:

ـ لا تفهميني خطأ، إيڤان يواعد النساء، لكن ما من موعد جاد أبداً.

قضمت ماري جو قطعة خبز بعنف، وقالت:

ـ لقد بذل جهده ليثبت العكس.

ـ وما هي أسماء تلك النسوة؟

www.elromancia.com

- إحداهن تدعى كاثرين مور.

لاحت ابتسامة على فم جسيكا، وقالت:

- كاثرين مور تقارب السبعين من عمرها، وهي عمته الكبرى.

رفعت ماري جو رأسها مدهوشة:

- عمته الكبرى؟ وماذا عن..

وكررت أمامها بقية الأسماء التي تذكرها.

فهزت جسيكا رأسها، وعلّقت:

- كلهن من الأقارب.. لقد سعى الفتى المسكين يائساً ليجعلك تغارين.

لم تكن ماري جو على استعداد للاعتراف بمدى نجاح خطته.. وقالت بغير اكتراث:

- قد يكون هذا صحيحاً، أو لعله كان يراعي مشاعرهن.

ودّت لو تغضب منه، لكنها شعرت أنها مغتبطة.

قالت جسيكا بابتسامة عريضة:

- ثقي بي. إيڤان كان يائساً. إنه يواعد النساء، لكنه نادراً ما يخرج مع المرأة نفسها أكثر من ثلاث أو أربع مرات.. وقد بدأت أمه تقلق لعدم استقراره.

لدى ذكر لويز درايرون، أبدت ماري جو اهتماماً شديداً بحسائها، وقالت:

- فهمت أن إيڤان يخطط ليصبح رجل سياسة.

ردّت جسيكا بحماس:

- وأعتقد أنه سيفعل هذا يوماً.. وفي رأيي، يجب أن يفعل.. فهو كريم ويهتم بالناس ويحب حقاً تقديم المساعدة.. والأهم من ذلك، إنه رجل قادر على إيجاد الحلول، وإصلاح الخلافات. إنه دبلوماسي رائع، يحب الناس.. كما أنه يتمتع بسحر خارق.

هزّت ماري جو رأسها موافقة. وتابعت جسيكا:

- ومع أنه اختار ميدان القانون الاتحادي، إلا أنني لا أعتقد أنه اختار ما يناسبه. لا أظنه سعيداً بأن يكون محامياً اتحادياً.

- إذن، لما لم يترشّح لمنصب حاكم الولاية؟

- لست أدري.. لعله يجد نفسه صغير السن على هذا المركز.. لكنني أشك في أن يكون هذا السبب.. أعرف أن أمه والعائلة كلها تشجعه.. فلطالما آمنت لويز بأن مصير إيڤان هو المناصب الكبرى.

- وأنا كذلك لدي هذا الانطباع.

- لطالما تناقش داميان وإيڤان مطولاً حول موضوع الترشيح، وداميان يشجعه.. لكن إيڤان لا زال يردد أن الوقت غير مناسب.

أحست ماري جو بثقل في قلبها.. كل ما كانت جسيكا تقوله، يعزز رأي لويز درايرون حول مواصفات زوجة إيڤان المستقبلية.

- تبدين شاردة الذهن.

أجبرت ماري جو نفسها على الابتسام، وردت:

- لم أفهم أبداً ما الذي يجذب إيڤان نحوي!

قالت جسيكا دون تردد:

- أعرف ما هو.. لقد ذكره لي بنفسه، وأكثر من مرة.. قال إنك تعرفينه قلباً وقالباً.. يبدو أن لديك القدرة على فهم نفسية الرجال.. وأعتقد أن قدرتك هذه لها علاقة بأن لك خمسة أخوة.

- ربما.

- استطاع إيڤان أن يسحر الجميع.. لكن ليس أنت.

هزت ماري جو رأسها، وهي تتذكر أول يوم التقيا فيه على الشاطىء.. حاول جهده ليقنعها بكلامه المعسول بأن تتناول العشاء معه، لكنها رفضت. ولم يلزمها الكثير لتدرك أن إيڤان درايرون لا يتقبل الرفض. في النهاية اتفقا، وأشعلا ناراً صغيرة، ليشويا عليها

www.elromancia.com

«الهوت دوغ» ثم جلسا على الشاطىء يتحدثان إلى ما بعد منتصف الليل.

بعد ذلك، تقابلا بشكل منتظم.. وعرفت ماري جو أنه ثري من سيارته «السبور» الثمينة، وطريقته في تبذير المال. في البداية، افترضت أن ثراءه يعود إلى كونه محامياً مرموقاً، ولم تنتبه إلى شهرته.

وخلال فترة وجيزة، أحبته بكل جوارحها، وذلك قبل أن تعرف الحقيقة. كان إيڤان أكثر من ثري.. فهو يتحدر من عائلة يعود تاريخها إلى «ماي فلاور» أول سفينة رست على شواطىء الأرض الجديدة.

قالت جسيكا:

ـ كنت مختلفة عن النساء الأخريات اللواتي عرفهن.. قال لي مرة إن رباط روحي يجمعكما... وهذا شيء لم يجده مع أحد سواك.

سألتها مقطوعة الأنفاس:

ـ وهل قال لك إيڤان هذا؟

مالت جسيكا إلى الأمام:

ـ أجل.. وأكثر بكثير.. فأنا أعرف كم أحبك إيڤان.. وهو لا يزال يحبك.

أحست ماري جو بأنها على وشك الانفجار.. فهي أيضاً تحبه.. وربما هناك أمل لهما.. لقد جعلتها جسيكا تشعر بإمكانية وجود مستقبل لهما معاً..

عادت ماري جو إلى المكتب وقلبها مليء بالأمل.. كانت مخطئة حين لم تثق بحبهما، وأخطأت حين لم تعطِ لنفسها ولإيڤان أيّ فرصة. ترددها هذا أضاع سنوات ثمينة.

حين عاد إيڤان كانت الساعة تقارب الخامسة.. وقاومت ماري جو رغبتها في الارتماء في أحضانه.. فقد أحست على الفور بوجود خطب ما.. إذ بدا مقطباً متوتراً.

سألته وهي تلحق به إلى مكتبه: «ماذا حدث؟».

قال وهو يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً:

ـ لقد خسرت.. أتعرفين معنى هذا؟ أنا أكره الخسارة.

لقد لاحظت هذا.. قالت:

ـ اسمع.. هذا يحصل لنا جميعاً.

ـ لكن، ما كان يجب أن أخسر هذه القضية.

ـ أنت تربح وتخسر.. هذه لعبة القانون.

نظر إليها بحدة، فضحكت.. سألها بلهجة فيها أكثر من السخرية:

ـ هل يمكنني الاعتماد عليك لإرضاء غروري المصاب؟

ـ كلا.. تستطيع فقط الاعتماد علي لأقول الحقيقة.

وتذكرت كذبتها الوحيدة بأسى.

ـ عناق منك قد يجعلني أشعر بالتحسّن.

لم يكن بإمكانها أن ترفض، وما كانت لتقوى على الرفض. جذبها بين ذراعيه وضمها إليه بشدة. راح يتنفس بعمق وكأنه يريد أن يتنشق كل شيء فيها.. وهمس:

ـ لا أصدق أنني أضمك هكذا.

ـ ولن يصدق أي واحد يدخل إلى هذه الغرفة.

لكنها لم تكن تهتم بأمر من يراهما.. وأراحت رأسها على صدره القوي.

ابتعد قليلاً وأحاط وجهها بيديه، وكانت عيناه شديدتا التوقد.

ـ لا يهمني الماضي يا ماري جو.. أنه كالماء الجاري.. لا شيء منه يهم. الشيء الوحيد المهم هو الحاضر.. هل يمكننا أن نرمي كل شيء وراءنا ونتحرك إلى الأمام؟

عضت شفتها السفلى، وامتلأ قلبها بثقة جديدة.. لا شيء في هذا العالم سيقف بينهما. وهزت رأسها موافقة.

www.elromancia.com

وجدت نفسها تعود إلى ذراعيه، وكان العناق قوياً قطع أنفاسها، مع ذلك لم تهتم.. فصعوبة التنفس لذة حين يحتضنها إيڤان هكذا. ودت لو تضحك وتبكي في آن واحد.. أن ترمي برأسها إلى الوراء وتصيح بفرح متفجر من أعماق روحها.

قال إيڤان:

ـ سنذهب إلى منزل والديك.. ونتحدث معهما حول أديسون. ثم سأصطحبك على العشاء، وبعد ذلك..

تخلصت منه لترفع يدها اليمنى:

ـ نخرج إلى العشاء؟ هل تظن حقاً أننا سنتخلص من أمي دون أن نتناول الطعام عندها؟

ضحك إيڤان وشدها إلى صدره مجدداً، قائلاً:

ـ لا أعتقد هذا.

رحب الوالدان بوجود إيڤان.. فتناقش مع نورمان سومرهيل في وضع أديسون، بينما ساعدت ماري جو أمها في تحضير وجبة بسيطة من الدجاج المقلي والمعجنات، وسلطة الخضار.

لم تقتصر الأمسية على الحديث والعشاء فحسب، بل كان أخوتها جميعهم يلعبون مع فريق «سوفت بول» ويشاركون في مباراة ذلك المساء. وقد أصيب أحد اللاعبين في كاحله.. فما أن سمع إيڤان بالخبر، حتى تطوع ليكون البديل.

توسلت إليه ماري جو:

ـ إيڤان.. هذه ليست كرة اليد.. وهؤلاء الشبان يأخذون اللعبة على محمل الجد.

قبّل إيڤان أنفها، وسألها:

ـ أتظنين أن لعبة كرة اليد ليست جدية؟

ثم تركها مع والديها، وعاد إلى منزله ليبدّل ثيابه.

راقبتهما أمها من المطبخ، وبدت راضية جداً.. مسحت يديها في المريلة وهي تقول:

ـ أعتقد أنك تصرفت بحكمة حين انفصلت عن غاري.

فهمست ماري جو:

ـ أنا سعيدة جداً يا أمي.

وأمسكت بمنشفة المطبخ لتجفف بعض الصحون.

ـ هل تحبينه؟

لاحظت ماري جو أن هذا ليس سؤالاً. فأجابت:

ـ ولم أتوقف يوماً عن حبه.

وضعت الأم ذراعها حول كتفي ماري جو، وقالت:

ـ عرفت هذا لحظة رأيتكما معاً مرة أخرى... لطالما عرفت أنك تحبين إيڤان.. ولكن ما الذي حصل؟ لماذا انفصلتما؟

ـ لم أكن أعتبر أنني المرأة المناسبة له.

ـ هراء! أي شخص يراكما يدرك على الفور أنكما رائعان معاً.. من قال لك هذا؟

لكن ماري جو أذكى من أن تذكر لويز درايرون.

ـ إنه ثري جداً يا أمي!

ـ لا تتوقفي عند هذه التفاصيل.

ضحكتها كانت عفوية.. فأمها الحبيبة تعتقد أن ثروة إيڤان ليست مبرراً للتكبّر.

ـ والده سيناتور.

ـ وهل تظنين أن ماله اشترى له هذا المركز؟ إذا كنت تعتقدين ذلك، فأنت مخطئة.. لقد انتخب لهذا المنصب لأنه رجل شريف وصادق يساعد أبناء منطقته.

لأمها طريقة فريدة تجعل المستحيل ممكناً.. وتمنت ماري جو لو

كانت مثلها. نزعت ماريانا المريلة، وقالت:

ـ والآن لنغتسل، وإلا ستتأخر على مباراة أخوتك.

كان إيڤان على أرض الملعب يلاحق الكرات الطائرة، حين وصلت ماري جو مع أبويها. وبدا كأنه عضو في الفريق منذ سنوات.

كانت المباراة مثيرة، وبقيت النتيجة مجهولة حتى النهاية. جلست ماري جو مع عائلتها على المقاعد الخشبية، وراحت تصرخ مشجعة حتى بح صوتها.. خسر فريقهم من الدورة الأولى، لكن الجميع تقبل الهزيمة، بمن فيهم إيڤان، الذي بذل جهده مثل الآخرين.

بعد ذلك خرج الجميع لتناول البيتزا والمرطبات، وانضمت ماري جو إلى إيڤان والآخرين بينما عاد والداها إلى المنزل متعبين من شدة الإثارة.

وضع إيڤان ذراعه حول كتفيها، فلفت ذراعها حول خصره.

سأل أخوها بيل وهم يجلسون حول الطاولة المستطيلة، في المطعم:

ـ هل لديكما أخبار جديدة.. أو شيء ما؟

تدخّل ريتش:

ـ أجل.. تبدوان مترددين جداً. ما الذي يجري؟

فسأل مارك:

ـ أجل.. وماذا حدث لغاري؟

تفرس إيڤان فيها وكرر: «ماذا عن غاري؟».

قال جاك:

ـ لا داعي للقلق.. لقد انفصلت ماري جو عنه في نهاية الأسبوع الماضي.

سأل إيڤان: «حقاً؟».

تكلم أخوها بالنيابة عنها مجدداً:

ـ أجل.. قالت إنهما كانا في اتجاهين معاكسين، أو شيئاً من هذا

القبيل.. ولم يصدقها أحد. فنحن نعرف جيداً سبب انفصالها عن غاري.

أخذت أذنا ماري جو تحمرّ، وقالت بإصرار:

ـ أرجوكم.. كفى.. أستطيع أن أتكلم عن نفسي.. شكراً لكم.

صبّ جاك المرطبات ووزعها قائلاً:

ـ أنت تعرف ماذا تعني ماري جو حين تقول أرجوكم كفى. أنظر إلى أذنيها. دعونا لا نحرجها أكثر يا شباب.. وإلا سندفع الثمن فيما بعد.

انفجر إيڤان ضاحكاً، وبدت الموافقة على أخوتها.. إنه ينسجم مع عائلتها وكأنه مولود بينهم.. وأدركت ماري جو أن هذه هي موهبته.. إنه مرتاح جداً كحاله مع مجموعة من رجال الحكومة، أو المحامين، أو أفراد «المجتمع».. مع أي شخص كان.. ولا فرق عنده أتناول البيتزا أم الكركند.

لكن ماري جو تفضّل البيتزا والمرطبات بكل تأكيد.. قبل ساعات كانت واثقة تماماً من قرارها، أما الآن ولأول مرة.. أحست ببعض التردد.

لاحظ إيڤان ذلك.. لكنه لم يقل شيئاً حتى أصبحا وحيدين في طريق العودة إلى منزلها.. راقبت ماري جو أنوار السيارات القادمة كارهة أن تنتهي الأمسية.. ولم تستطع كتم تنهيدة. نظر إيڤان إليها، وقال:

ـ عائلتك رائعة. أحسدك على هذه المجموعة المتآلفة.

ـ وأنت تتفق مع أخيك كذلك.

ـ صحيح، ونحن الآن أكثر تقارباً بعد أن كبرنا.

أمسك يدها بلطف: «هل من شيء يزعجك؟».

نظرت من النافذة الجانبية، وأجابت:

ـ أنت ترتاح في عالمي يا إيڤان، لكنني لن أرتاح في عالمك.

ـ عالمي؟ عمّ تتكلمين؟ كلانا هنا وفي العالم نفسه.

www.elromancia.com

ابتسمت:

- لو كنت مع عائلتك، أتظن أننا كنا سنتناول البيتزا والمرطبات؟..

الأرجح أن يكون الشراب فرنسياً، والجبن من أفخر الأنواع.

- وما العيب في ذلك.. ألا تحبين الجبن؟

- أجل، لكن..

وعرفت أن لا جدوى من الجدال.. فهو لا يفهم سبب قلقها، لأنه لا يشاركها إياه.

- نحن مختلفان يا إيڤان.

- شكراً لله.. فأنا أكره أن أنجذب إلى نسخة أخرى من نفسي.

- أنا ابنة كهربائي.

- وابنة جميلة جداً.

تأوهت: «إيڤان.. كن جاداً».

- أنا جاد.. وقد ألقي الذعر في قلبك لو عرفت كم أنا جاد.

خرج عن الطريق العام واتجه إلى الشارع الذي تسكن فيه. قال، وهو يركن السيارة:

- ألن تدعيني لشرب فنجان قهوة؟

- وهل يهمك حقاً شرب القهوة؟

- بصراحة.. كلا.

- هذا ما ظننته.

وابتسمت في سرّها.

- أريد أن أحتضنك يا ماري جو.. وبصراحة، أنا أكبر سناً من أن أفعل هذا في السيارة.. والآن دعيني أدخل.. أو ستواجهين النتائج.

ولم تحتج ماري جو إلى دعوة ثانية. ساعدها إيڤان على الخروج من السيارة، وأخذ ذراعها وهما يسيران نحو بابها.. فتحت الباب، لكنها لم تضيء المصابيح. وما أن أقفلت الباب، حتى أخذها إيڤان بين

ذراعيه.

ارتجفت شفتاها رأسها. تأوهت، ولفت ذراعيها حول عنقه، واقفة على أطراف أصابعها.. كانت مار جو مقتنعة أنه لو لم يكن يضمها بشدة إليه، لانزلقت إلى الأرض.

همس إيڤان وكأنه يكلم نفسه:

- من الأفضل أن نتوقف طالما لدي القوة.

ابتعد عنها. وفي سكون العتمة في غرفة الجلوس، التي لا تضيئها سوى أنوار الشارع، راقبته وهو يمرر يده في شعره الكثيف الأسود. فقالت بصوت دافىء:

- سأحضر القهوة.

ورمش كلاهما حين أضاءت النور. قال:

- لست بحاجة إلى القهوة حقاً.

- أعرف.. ولا أنا. لكنه عذر مناسب لتبقى.

لحق بها إلى المطبخ وجذب كرسياً ليجلس:

- لدينا متسع من الوقت للتعويض عما فاتنا.

لم تعرف كيف ترد.. وأسندت يديها بخفة على كتفيه. كان من السهل أن تنسى كل شيء أمام حبهما المتجدد.. لكن، وبالرغم من تفاؤلها، لم تستطع أن تتجاهل الحقيقة.. فهي لا تعرف كيف تحل هذه المشكلة، أو حتى إذا كانت تستطيع ذلك.

غادر إيڤان منزلها بعد ذلك بقليل، على أمل اللقاء في الصباح.

جلست ماري جو في العتمة لوقت طويل، تحاول ترتيب أفكارها المتشابكة. ولأنها تحبه على طريقتها الخاصة، ودّت أن تترك قلبها يتبع هواه.. وأن تتجاهل الأسئلة الصعبة كلها.

بدا إيڤان مقتنعاً بأن حبهما ممكن.. وكذلك جسيكا.. وأرادت ماري جو أن تصدقهما. أرادت أن تتغلب على أي اعتراض. أرادت ما

www.elromancia.com

لن تحصل عليه على الأرجح.. موافقة عائلته، ليس داميان وجسيكا وحسب، بل أمه وأبيه.

أحياناً، الحب وحده لا يكفي.. ولطالما سمعت ماري جو مثل هذا القول.. وهي تدرك الآن أنه الحقيقة. ودخلت إلى غرفة نومها متعبة من كثرة التفكير.

قابلت ماري جو إيڤان ظهر السبت في نادي اليخوت.. وكانت تتشوق لهذا اللقاء منذ دعاها إليه.

رافقتها موظفة الاستقبال إلى طاولة على الشرفة حيث كان إيڤان ينتظرها.. ساد في المكان جو صيفي فرح.. الطاولات بمظلاتها المخططة... الأصوات المرحة.. منظر المرفأ الذي يخطف الأنفاس.. مراكب شراعية يمكن رؤيتها من بعيد كنقاط براقة ما بين السماء الزرقاء والبحر.

وقف إيڤان وهي تقترب، ليجذب لها كرسياً:

- أعتقد أنك أكثر جمالاً من أي وقت مضى!

سمعت مثل هذا الإطراء منه ألف مرة من قبل، وكانت واثقة من صدقه. لكنها قالت تمازحه بلهجة التأنيب:

- أنت تقول هذا لكل امرأة تواعدها.

ردّ كمن جرح في كبريائه:

- هذا ليس صحيحاً!

ضحكت ماري جو، ثم وضعت منديل الطعام على ركبتيها.

- مشكلتك أنك كاذب رائع.. وستكون ممتازاً في عالم السياسة لأنك تكذب بإقناع.

كانت تمازحه، لكنها أدركت فجأة مدى فظاظة كلامها. فوالده رجل سياسي!

- أوه.. إيڤان.. أنا آسفة.

ضحك، وتغاضى عن اعتذارها.

- سيضحك أبي مما قلته.

- عدني ألا تقول له أبداً.

- هذا يتوقف..

وركز اهتمامه على لائحة الطعام... فسألته:

- على ماذا؟

رفع حاجبيه، وقال:

- على ما تعرضينه عليّ ثمناً لسكوتي.

ابتسمت، ورددت قولاً يكرره أخوتها:

- سأدعك تعيش.

رد رأسه إلى الخلف ضاحكاً.

- إيڤان؟..

جاء الصوت الأنثوي من خلف ماري جو وأضاف:

- يا لها من مفاجأة سارة أن أجدك هنا!

وقف إيڤان قائلاً: «أمي!».

وحيّا لويز درايرون بقبلة طبعها على خدها، ثم أكمل:

- تتذكرين ماري جو سومرهيل.. أليس كذلك؟

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ ليست المرأة المناسبة

قالت لويز درايرون بابتهاج:

ـ طبعاً أذكر ماري جو.. تسرّني رؤيتك مجدداً.

رمشت ماري جو بعينيها، متسائلة عما إذا كانت هذه فعلاً المرأة التي دعتها يوماً إلى فسخ خطوبتها من إيڤان إذا كانت تحبه حقاً؟.. لم تقل طبعاً هذا الكلام بالضبط. ومع ذلك، كانت الرسالة واضحة.

تابعت لويز:

ـ لم أكن أعرف أنكما تلتقيان مجدداً.. هذه.. مفاجأة.

لاحظت ماري جو أن المرأة لم تقل «مفاجأة سارة»، ومن الطبيعي أن تتصرف والدة إيڤان بتهذيب فائق فلا تخلق مشكلة. ليس في نادي اليخوت، على أي حال.. فلو كانت في «ويسبرنغ ويلوز» أملاك آل درايرون، لأغمي عليها أو أصيبت بنوبة هستيريا، تعبيراً عن صدمتها وخيبة أملها..

أمسك إيڤان بيد ماري جو وعيناه تبتسمان لعينيها.

ـ ماري جو تعمل عندي هذا الصيف.

ـ لم أكن أعرف هذا...

سألها إيڤان:

ـ هل ترغبين في الانضمام إلينا؟

لكن عينيه لم تبتعدا عن عيني ماري جو. توقع أن ترفض أمه.. وهو يريدها أن تفعل.

ـ ربما في وقت آخر.. سأتناول الغداء مع والدة جسيكا.. نحن

نخطط لعيد ميلاد أندرو. وأنت تعرف شعورنا نحو حفيدنا الوحيد.

ضحك إيڤان:

ـ بكل تأكيد أعرف.. ويبدو لي، أنه علينا، أنا أو داميان، أن نفكر في إضافة غصن جديد إلى شجرة العائلة.

أحست ماري جو بحرارة الإحراج تحرق أذنيها.. لقد أظهر إيڤان جرأة فائقة.. وأعلن بطريقة غير مباشرة أنه ينوي الزواج منها.. فانتظرت أن تعلق أمه على الأمر.

قالت لويز:

ـ سيكون هذا جميلاً جداً إيڤان.

لم يتنبّه إيڤان إلى الحدّة في صوت أمه، لكن ماري جو فعلت..

اعتذرت لويز، وعادت مسرعة إلى داخل النادي. وتبدّل مزاج ماري جو الجيد. تظاهرت بأنها تستمتع بغدائها، بعد أن قررت أن تضع هذه المواجهة الصغيرة خلفها. كان قلبها يركز على الاستمتاع بهذا اليوم مع إيڤان، فهي تحب الإبحار بقدر ما يحبه.. وما أن يخرجا من الخليج، حتى تنسى.. أو تكاد تنسى.

ما أن رفعا الأشرعة، حتى جلست إلى جانب إيڤان. أخذت الريح تداعب شعرها، وابتسمت لأشعة الشمس الدافئة... سألها بعد حوالى الساعة:

ـ هل أنت عطشى؟

ـ صودا مثلجة تبدو لي رائعة.

ـ عظيم.. أحضري واحدة لي!

ضحكت وضربته برقة على صدره لأنه خدعها كي تحضر له الشراب. نزلت إلى المطبخ الصغير وعادت بزجاجتي صودا، أعطته واحدة منهما، ثم رجعت إلى مكانها بجانبه.

أحاط إيڤان كتفيها بذراعه، وسرعان ما دنت منه حتى التصقت به،

www.elromancia.com

وراحت توجّه المركب، وفقاً لتعليماته..

لطالما وجدت ماري جو سهولة في التحدث مع إيڤان وذلك منذ التقيا.. فهو سهل المعشر، منفتح، وشجاع.. لكنه بدا الآن هادئاً على غير عادته.. وتساءلت عما إذا كان يفكر في لقائه غير المتوقع مع أمه.

قالت بعد دقائق من الصمت:

ـ الجو هادىء.. أليس كذلك؟

ـ أعتقد أن معظم أوقات التفكير العميق أمضيتها على متن هذا المركب. كنت آتي إلى هنا دائماً لأجد الهدوء.

ـ أنا أشكرك لأنك علمتني الإبحار.

ـ لقد أبحرت مرات عدة.. منذ ثلاث سنوات.

واشتدت قبضته عليها قليلاً.. وهمس:

ـ لقد اشتقت إليك يا ماري جو.. كان عالمي فارغاً من دونك.

اعترفت بصوت ناعم: «وعالمي أيضاً».

وتذكّرت الأشهر الفارغة الكئيبة بعد انفصالهما.

ـ لقد مرّ بمكتبي إيرل كريس منذ مدة، وعرفت منه أنك لم تتزوجي.. بعد ذلك لم أستطع إبعادك عن تفكيري، وكنت أتساءل عما حدث بينك وبين ذلك المعلم الذي أحببته. ولا بد أنني وضعت مائة خطة لأعود إلى حياتك مرة أخرى.

ـ و.. لماذا لم تفعل؟

أحست بالارتياح والأمان بين ذراعيه، ولم تعد تخشى المشاكل التي أبعدتهما عن بعضهما..

قال إيڤان بهدوء:

ـ الكبرياء.. جزء مني كان يأمل أن تعودي إلي.

وبطريقة ما، عادت إليه. يا له من أمر غريب.. لم تستطع أن تقترب منه من أجل نفسها، مع أنها تحبه بجنون، لكنها فعلت ذلك من

أجل أبويها.

قالت وهي تخفي ابتسامتها:

ـ لا عجب إذن في أن أرى تلك النظرة المرحة في عينيك حين دخلت إلى مكتبك.. كنت تنتظر هذه اللحظة.

ـ كنت أنوي معاقبتك. أردتك أن تعاني بطريقة ما، كما عانيت. ولهذا أصريت على أن تعملي عندي هذا الصيف.. حين سنحت لي فرصة إجبارك على قبول المنصب، لم أستطع مقاومة الإغراء.

لم يكن هذا خبراً جديداً بالنسبة لماري جو.. فقد عرفت نواياه لحظة عرض عليها العمل. أراد أن يجعلها بائسة كما فعلت به.. وقد نجحت خطته في الأيام الأولى، وعادت إلى منزلها غاضبة ومهزومة.

قالت: «كدت أترك العمل منذ أول يوم، بعد أن جعلتني أطلب الورود وأحدد لك مواعيد الغداء مع النساء».

اعترف: «لم تكن تلك مواعيد غرام.. فهن قريباتي».

ـ أعرف.

سألها بدهشة: «كيف؟»

ـ جسيكا أخبرتني.

ـ أردت فعلاً أن تغاري.. لكن يبدو أنني قمت بأشياء غير ضرورية.

ـ لقد خنقتني الغيرة.. ففي كل مرة، كنت تخرج في موعد.. كنت أرهق نفسي بالعمل. أرجوك إيڤان، لا تفعل هذا مجدداً.

أحست بابتسامته فوق شعرها، وقال:

ـ لن أفعل.. لكنكِ انتقمت مني أكثر حين عرّفتني بغاري.. وقد كرهت هذا الرجل منذ التقيته.. كنت آمل أن أفاجئك بالظهور في منزل والديك على العشاء، فارتدّت عليّ خطتي فوراً حين وصلت مع صديقك.

- ألم تحب غاري؟

- لعله شاب لطيف.. لكن ليس حين يخرج مع «امرأتي».

دنت ماري جو منه أكثر، وشعرت بالأمان بين ذراعيه..

سألها إيڤان:

- أيمكننا أن نعود كما كنا؟ هل نفترض أن تلك السنوات لم تمرّ، ونتطلق من حيث توقفنا؟

همست: «لست أدري!».

لكنها لم تستطع منع قلبها من الأمل. وأغمضت عينيها أمام الريح.. تلك السنوات غيّرتها. أصبحت الآن أكثر ثقة بنفسها، وأقوى عاطفياً.. وهذه المرة، ستكافح بشراسة لتتمسك بسعادتها.

وتذكرت ألم التكيف مع الحياة من دون إيڤان، حيث ساعدتها كرامتها لعدة أشهر.. فلعلها لا تتحدر من عائلة ثرية قديمة في بوسطن، لكن ليس هناك في حياتها ما تخجل منه. إنها فخورة بعائلتها وترفض أن تعتذر لمجرد أنهم من الطبقة العاملة.

وأجبرت نفسها على الاستمرار، شأنها شأن إيڤان. تجرجر نفسها من يوم إلى يوم، لكن دون أن تحيا، وبقيت هكذا حتى بضعة أيام خلت.. حين أخذها بين ذراعيه..

تمتم إيڤان:

- أريد أن نمنح أنفسنا فرصة أخرى.. هل ترغبين في ذلك؟

فردت بحماس: «أجل.. أوه.. أجل».

ضمها إليه بشوق لم تختبره منه من قبل، فتجاوبت مع عناقه بقوة. وتعلقا ببعضهما بشدة، إلى أن انقلبت الأشرعة تعاكس الريح، فاضطر إيڤان إلى الإمساك بالدفة ليعيد المركب إلى مساره.

قال:

- أحبك يا ماري جو.. والله يعلم أني حاولت ألا أحبك..

أصبحت عاجزاً عن تحمل أية مسؤولية بعد انفصالنا، أتعرفين هذا؟ ولولا داميان، لما عرفت ما عليّ أن أفعله... لقد كان صبوراً للغاية معي، حتى وأنا أرفض أن أبوح له بمشكلتي ومأساتي.. لكن أخي ليس غبياً، فقد عرف أن للأمر علاقة بك. لم أستطع الكلام.. الراحة الوحيدة التي كنت أجدها، كانت هنا.. في الإبحار فوق الماء.

استدارت ماري جو لتلف ذراعيها حول وسطه، وأسندت وجهها على صدره، ترغب في أن تستوعب ألمه وتمحوه.

- حين قلت لي إنك تحبين شخصاً آخر، لم يبق أمامي سوق تقبّل الأمر. أدركت هذا حين قلت لي كم كان الأمر صعباً بالنسبة لك.. أحببته وأنت مخطوبة لي، فلا بد أن الوضع كان أشبه بالجحيم.

علقت غصة بكاء في حلقها.. لقد حان الوقت كي تعترف له أن لا وجود لرجل آخر، وأن ما قالته كان كذباً...

- أيمكنك أن تخبريني عنه؟

هزت رأسها نفياً، رافضة الكلام بشدة. لن تستطيع الاعتراف، فالبوح بالحقيقة يعني فضح دور أمه، وهي لن تقدم على ذلك.

شد بذراعه الحرة على كتفيها، ثم قال بعد طول صمت:

- كنت قد قررت ألا أتزوج أبداً إن لم أتزوجك.. هل يمكنك تخيّلي بعد عشرين سنة جالساً قرب النار أدخن السجائر وكلبي المخلص ينام إلى جانبي؟

كانت الصورة غريبة جداً ومغايرة للصورة التي رسمتها له خلال السنوات الماضية، بحيث ضحكت عالياً ومطوّلاً.

- أنت.. تدخن السجائر؟ أبداً.. أنت لا تدخن.

- ماذا عن صورتي وأنا أعيش وحيداً في منزل فخم بسبع غرف نوم؟

- لا أستطيع تصوّر هذا أيضاً.

- وماذا عن الأبوة؟ ألا تتخيلينني أباً؟

- بسهولة.

فبعد أن رأت طريقة تعامله مع أندرو ومع بنات أخوتها وأبنائهم، أدركت أنه يحب الأولاد.

بدا الارتياح عليه، وقال: «إذن.. اتفقنا».

- على ماذا؟

- سنتزوج.. لذا، حضّري نفسك يا حبيبتي. لأننا سنعوض عن الوقت الضائع.

- إيڤان.

- إذا ما كنت تذكرين.. حين أعطيتك خاتم خطوبة أول مرة.. خططنا لبناء عائلة لنا.. ألا تذكرين؟ حتى أننا خططنا لموعد أول حمل لك.

بالكاد استطاعت أن تهز رأسها.. فهي لطالما منعت نفسها من أن تسترجع هذه الذكريات وتفضحها.

- وكنا قد قررنا معاً أن ننتظر سنتين قبل البدء بالإنجاب. كان من المفترض أن يلد أول طفل لنا، هذه السنة.. أوه.. لقد تجاوزنا الموعد! ويبدو لي أن شهر العسل سيكون طويلاً.

ضحكت ماري جو. لكن الريح ابتلعت الصوت لحظة خروجه من شفتيها.

وتابع إيڤان:

- شهرين أو ثلاثة على الأقل.. وأقترح جزيرة جنوبي الباسفيك، بعيدة عن طريق السياح. سنستأجر كوخاً على الشاطىء، ونقضي أيامنا ونحن نتمشى قرب الماء، ولياليا في الحب.

كان يتقدم بسرعة كبيرة عجزت عن استيعابها، فطلبت منه:

- أرجو أن تعود بضع خطوات إلى الوراء؟ لقد ضعت في مكان ما بين جلوسك قرب نار متأججة مع كلبك المخلص وبين شاطىء جزيرة

جنوبي الباسفيك.

- لنبدأ أولاً بأول.. لقد اتفقنا على أربعة أولاد.. أليس كذلك؟

لم تستطع منع نفسها عن الضحك، وصرخت:

- إيڤان!

- هذه تفاصيل مهمة، وأريد أن نتفق عليها قبل أن نخوض في موضوع آخر.. *فأنا أردت ستة أولاد لأنني أحب العائلة الكبيرة*.. لكنك أردت اثنين فقط.. ولزمنا جدال طويل كي أقنعك بإنجاب أربعة.. وقد وافقت.. أتذكرين؟

- ما أذكره هو أنك جررتني إلى نقاش مجنون حول المسكن.

- آه أجل.. المنزل. كدت أنسى.. أردت منزلاً كبيراً يكفي لكل الأولاد، مع غرفتي نوم للضيوف. وهذا يا جميلتي، ليس قصراً.

- إنه كذلك حين تتكلم عن سبع غرف نوم، وستة آلاف قدم مربع.

لمعت عيناه، وقال:

- ذلك لمساعدتك على العناية بالأولاد، خاصة وهم صغار.. وأردت أن أتأكد من وجود مكان نهرب إليه في آخر النهار.

كانت ماري جو قد ظنته يمازحها حين عرض عليها خرائط المنزل، لكن سرعان ما اتضح لها أنه جاد تماماً.. وهو الآن جاد كذلك.

قال، وعيناه السوداوان تبحثان في عينيها:

- لا زلت أريد بناء ذلك المنزل.. أحبك. ولقد أحببتك لثلاث سنوات رغم العذاب الذي قاسيته.. لو كان الأمر عائداً لي لحصلت على ترخيص بالزواج في الحال.

- أنت مجنون.

- وأنت تحبينني.

لمعت الدموع في عينيها وهي تهز رأسها، وتقول:

- أحبك.. أحبك كثيراً يا إيڤان.. ماذا يمكنني أن أفعل من دونك؟

www.elromancia.com

- تزوجيني وأخرجيني من بؤسي.

وعلقت في موجة حماسه.. لكنها لم تستطع أن توافق.. ليس بعد. ليس قبل أن تقتنع بأنها تفعل ما هو صائب ومناسب لكليهما.

قال، وكأن فكرة خطرت له:

- اسمعي.. هناك قاض في العائلة يمكنه أن يزوجنا ما أن تنتهي الإجراءات الضرورية.. يمكننا أن نقيم مراسم زواجنا بعد.. لنقل.. ثلاثة أيام.

- والداي قد يقتلانا معاً يا إيڤان.. لن يسامحنا والدي لو حرمناه سعادة وفرحة مرافقتي إلى الكنيسة.

كشر إيڤان، وأجاب:

- أنت على حق، وأمي كذلك. فهي في الواقع تستمتع بترتيب المناسبات الاجتماعية.. وقد ازداد الأمر سوءاً الآن بعد أن أصبح والدي سيناتور..

ابتسم فجأة، وكأنه اكتشف أمراً مسلياً:

- لقد أحسن والدي الاختيار حين تزوج أمي.. فهي زوجة السياسي المثالية.

نزلت هذه الكلمات على ماري جو كالصاعقة. فقد ذكرتها بأنها ستكون عقبة في درب إيڤان، إذا ما قرر الترشح لشغل منصب سياسي.

تخضع زوجات المرشحين عادة للمراقبة الشديدة مثل المرشحين تماماً، وما هو مطلوب من زوجة السياسي لا يقل عما يطلب منه نفسه.

قالت: «إيڤان.. أنا لست كأمك».

- وإن يكن! ما دخل هذا في بناء أسرة سعيدة، يكثر فيها الأولاد؟

- لن أكون زوجة سياسي جيدة.

نظر إليها وكأنه لا يفهم ما تقوله. ولم يبقَ أمامها خيار آخر سوى أن تشرح له:

- لقد سمعت، من أشخاص عدة، أنك تنوي دخول معترك السياسة يوماً ما.

- يوماً ما.. لست على عجلة من أمري.. عائلتي، وأمي بوجه خاص، تعتقد أن أمامي مستقبلاً واعداً في هذا المجال.. لكن هذا لن يحدث قريباً.. ومتى حان الوقت، إذا ما حان، سنقرر معاً.. لهذا سنؤجل النقاش في هذا الموضوع.

لم تكن على استعداد لقبول كلامه دون جدال، فقالت:

- إيڤان. أنا أقول لك منذ الآن، إنني أكره هذا النمط من الحياة.. أنا لست المرأة المناسبة له. أمك تستمتع بتنظيم وتحضير المناسبات الاجتماعية الضخمة، بالمقابلات الصحفية، لكنني لست مثلها. أنا من النوع الذي لا يشعر بالارتياح في غرفة مليئة بالغرباء..

قال بمرح:

- حسن جداً.. لن أنتقل إلى عالم السياسة إذن.. أنت أهم عندي من المراكز المرموقة..

كان ينبغي لكلماته أن تطمئنها، لكن هذا لم يحصل.. فقد بدا لها من السخف بناء مستقبلهما على أساس وعد كهذا. وأكبر مخاوفها وأعظمها كان أن يغيّر إيڤان رأيه ويندم على زواجهما.

قال إيڤان:

- دعينا نتكلم مع والديك.

- حول ماذا؟

- حول ترتيبات الزواج.. وهل ثمة شيء أهمُّ منه؟ قد تعترض أمي.. لكن أعتقد أن حفلة صغيرة تقتصر على عائلتينا هي الحل الأفضل.

www.elromancia.com

ـ أوه.. إيڤان.. أرجوك، لا تستعجلني. فهذا أهم قرار في حياتنا.. ونحتاج إلى أن نفكر فيه بحذر شديد.

ضاقت نظرته، وسألها:

ـ وماذا هناك لنفكر فيه؟ أنا أحبك، وأنت تحبينني.. هذا كل ما يهم.

كم تمنت ماري جو أن يكون هذا صحيحاً.

أمضت معظم الليل تتقلب بين السعادة الغامرة واليأس.. واستيقظت صباح الأحد مقتنعة بأن عليها أن تتكلم مع والدة إيڤان. وهكذا وجدت نفسها تقف أمام باب عائلة درايرون، قبل الظهر بقليل.. وبيد مرتجفة، قرعت الجرس.

توقعت أن يرد عليها أحد الخدم، لكن لويز درايرون ظهرت بنفسها.

استجمعت ماري جو رباطة جأشها بما يكفي لتتكلم، فقالت:

ـ أنا آسفة لإزعاجك يا سيدة درايرون. لكنني آمل ببضع دقائق من وقتك.

تراجعت السيدة الكبيرة لتفسح المجال أمام ماري جو، قائلة:

ـ طبعاً... طبعاً!

كانت أرض الفناء من الرخام المصقول، وثريات الكريستال اللامعة تتدلى من السقف. قالت لويز درايرون:

ـ ربما من الأفضل أن نتكلم في مكتب زوجي.

ورافقتها عبر الردهة إلى غرفة مغطاة بألواح الخشب اللماعة..

ـ هل تريدين شيئاً بارداً.. أم قهوة؟

ـ لا شيء.. شكراً لك.

اختارت مقعداً قرب الموقد فجلست السيدة درايرون قبالتها.

بادرت ماري جو إلى الكلام:

ـ أدركت أنك دهشت لرؤيتي مع إيڤان بالأمس.

ردت لويز درايرون، ويداها مضمومتان باحتشام في حجرها.

ـ أجل.. لكن اختيار ابني لمن يخرج معها ليس من شأني.

ـ هذا رد ديبلوماسي منك. لكنني أعتقد أنك تفضلين امرأة أخرى غيري.

ـ ماري جو.. أرجوك. أشعر أننا بدأنا علاقتنا بطريقة خاطئة منذ سنوات مضت.. كانت غلطتي بالكامل، ولقد تمنيت أكثر من مرة لو راعيت مشاعرك أكثر..

ابتسمت ماري جو، وردت:

ـ أنا مستعدة لوضع الماضي وراءنا.. لقد كان هذا منذ سنوات طويلة.. وكنت مذهولة بثراء عائلتكم ومركزها.. وإذا كان ثمة خطأ، فهو خطأي.

استرخت السيدة درايرون في مقعدها، وقالت:

ـ هذه لباقة كبيرة منك.

قالت ماري جو:

ـ أنا أحب إيڤان، وأعتقد أنه يحبني.

ـ وأنا سعيدة من أجلكما.

لم يحمل صوتها أي دلالة عاطفية، حتى يخيّل للسامع أنهما تتحدثان عن الطقس. وأعلنت ماري جو:

ـ لقد طلب إيڤان مني الزواج.

نظرت المرأة الأخرى إليها بحذر، لكن دون أن تفصح نظراتها عن عدم رضى.. وأرفقت ردها بابتسامة قصيرة:

ـ أنا مسرورة جداً.. وهل حددتما الموعد؟ أرجو أن تعيا أنه يلزمنا سنة على الأقل للتخطيط لحفل الزواج. فمثل هذا النوع من المناسبات يتطلب وقتاً وتحضيرات دقيقة.

www.elromancia.com

- لقد قررنا أن يكون احتفالاً صغيراً، مختصراً.

ردت لويز بإصرار: «لا.. هذا غير ممكن».

أجفلت للشدة في صوت المرأة المسنة، وسألت:

- ولِمَ لا؟

- زوجي سيناتور.. وابن رجل في مركزه لا يتسلل ليتزوج.. في السر.

لم تعلّق ماري جو على مسألة التسلل أو السر.. فهي لم تحضر لتجادلها.

- عائلتي كبيرة سيدة درايرون.. ونحن..

- أنتم عشرة أو أكثر، كما أذكر.

ولوّحت بيدها دون اكتراث، فتصلبت ماري جو. هذه المرأة تجعل والديها يبدوان وكأنهما أنجبا قطيع أرانب، بدلاً من عائلة كبيرة سعيدة. لكن ماري جو سيطرت على توترها، وقالت:

- ما أقصده هو أننا، عائلتي وأنا، لا نستطيع تحمل مصاريف حفل زواج كبير.

بدا الارتياح على لويز، وردّت:

- طبعاً.. لن نتوقع من عائلتك تحمّل كلفة مثل هذا الحدث. والتر وأنا سنكون أكثر من سعيدين لدفع الكلفة.

- أنا ممتنة للعرض.. وأنا متأكدة من أن والدي سيكونان ممتنين كذلك... لكنني أخشى أننا لا نستطيع قبول كرمكما.. فالتقاليد تقضي بأن تتحمل عائلة العروس أعباء الزفاف.. ووالدي رجل يتمسك بالتقاليد.

عضت السيدة درايرون شفتها السفلى، وقالت:

- لا بد من طريقة نلتف بها على التقاليد، دون أن نجرح كرامته.

ولأول مرة، بدت ودودة وهي تضيف:

- سأفكر بشيء ما.. اتركي الأمر لي.

- هناك أمر آخر. أنا كذلك لا أريد زفافاً يلفت الأنظار.

- لكن، يجب أن نحتفل كما ينبغي، ولقد شرحت لك سبب أهميته. نحن لا نريد أن نثير الأقاويل وأن يشتم الناس رائحة الفضيحة.

- رائحة فضيحة؟

- يا فتاتي العزيزة.. لا أقصد أن أكون فظة. وأرجوك، سامحيني إذا بدوت عجوزاً متسلطة. لكن هناك أشخاص قد يتهجون إذا ما وجدوا شيئاً ولو صغير جداً يستخدمونه ضد والتر.

- لكنني سأتزوج إيڤان.. لا والتر.

- أعرف.. لكن يبدو أنك لا تفهمين أن هذه الأمور يجب أن تعالج. فما أن يعلن موعد الزفاف.. حتى تصبحي وعائلتك مركز اهتمام الإعلام.

بدأ رأس ماري جو بالدوران، وقالت:

- أنا واثقة من أنك مخطئة. لماذا سيهتمون بي أو بعائلتي؟

بدأت لويز تدير يديها، وهي تقول:

- لا أعتقد أن هناك ضرراً من ذكر هذا.. إنما يجب أن أطلب منك عدم نشر المعلومات. لقد اتصل بوالتر صديق قديم ينوي خوض معركة الرئاسة في السنة القادمة.. وهذا الصديق طلب من والتر أن يكون رفيق ترشيحه، إذا كسب تأييد الحزب.

استولى على ماري جو صداع مؤلم. فتابعت السيدة لويز:

- زوجي وأنا ينبغي أن نتجنب أي موقف محرج.

قالت ممازحة: «يمكننا أن نؤجل الزفاف».

لكن والدة إيڤان بدت مرتاحة جداً، وسألت بلهجة كلها أمل:

- حقاً؟

- سأتناقش مع إيڤان في الموضوع.

www.elromancia.com

أمام ذكر ابنها الأصغر، قطبت لويز درايرون، وسألت:

- ألا يجب أن يكون معك هنا؟ يبدو الموقف غريباً! أن تبلغيني أنت عن خطوبتكما من دون وجوده.

قالت ماري جو تشرح:

- أردت أولاً أن نتحدث معاً.

هزت لويز رأسها:

- فكرة ممتازة.. فالرجال سيئو الطباع.. فإن اتفقنا على ترتيبات محددة، أنا واثقة من أننا سنحل كل شيء حسب ما ترغب.

- سيدة درايرون، أنا معلمة أطفال صغار.. وأريدك أن تعرفي أنني لا أشعر بالارتياح لفكرة أن أصبح هدفاً للإعلام.

- سأفعل ما بوسعي لمساعدتك يا ماري جو. وأعرف أن الحمل سيكون ثقيلاً عليك دفعة واحدة.. لكن إذا كنت ستتزوجين من ابني يجب أن تتعلمي كيف تتعاملين مع الإعلام.

زاد صداع ماري جو مئات المرات، وقالت:

- لا أعتقد أنني كنت واضحة بما يكفي يا سيدة درايرون. فأنا أكثر من منزعجة.. وأنا أرفض المشاركة.

- ترفضين؟

- لقد شرحت مشاعري لإيثان.. أنا أحب ابنك كثيراً.. لكنني لست مثلك ولا مثل زوجك أو إيثان في هذا الصدد، ولا أنوي أن أكون. حين طلب إيثان مني الزواج، قلت له كل هذا.

جعّد العبوس جبين لويز درايرون، وقالت:

- لست واثقة من أنني أفهمك جيداً.

- ربما لأنني لا أشرح الأمر بشكل صحيح.. أولاً، أرفض أن أعيش حياتي وفقاً لمتطلبات الآخرين.. أريد حفلة زواج صغيرة، ولقد وافق إيثان على هذا.

- لكن ماذا عن المستقبل؟ حين يقرر إيثان أن يدخل معترك السياسة؟ ثقي بي يا ماري جو، مركز الزوجة متطلب مثل مركز زوجها.

- أنا متأكدة من صحة كلامك.. لكنني أكره نمط الحياة الذي تتحدثين عنه.. وإيثان يعرف هذا ويتفهمه. ولقد وافق على عدم دخول معترك السياسة طالما أنا على موقفي.

قفزت الأم من مقعدها، وصرخت:

- لكن، لا يمكنك أن تفعلي هذا! فالسياسة مصير إيثان. منذ كان في المدرسة الابتدائية، قال لي أساتذته إنه قائد بطبيعته.. ثم أصبح رئيس رابطة الطلاب في الثانوية، ثم في الكلية.. ومنذ أوائل مراهقته كنا نحضره لهذا.

لدى السيدة درايرون خطط طموحة بكل تأكيد.

- وهل هذا ما يريده إيثان؟

ردت بحدة:

- بالطبع، اسأليه بنفسك. كان لأبيه وأخيه أحاديث لا حصر لها معه حول الأمر.. إذا كان ابني سيتزوج من امرأة لا تفهم طموحه.. فقد يدمره هذا.

لو صدرت هذه الكلمات عن أي شخص غير لويز درايرون لاعتبرتها ماري جو سخيفة مضحكة، لكن هذه المرأة صادقة مع نفسها.

سألتها ماري جو بحزن لا يوصف:

- زواج إيثان من المرأة المناسبة، أمر هام جداً لمستقبله.. أليس كذلك؟

بدت لويز درايرون غير مرتاحة، وهي تجيب: «أجل».

- وأنا لست تلك المرأة.

تنهدت المرأة الأخرى، وقالت:

ـ أعرف هذا.. لكن يبقى السؤال، ماذا تنوين أن تفعلي بهذا الخصوص؟

* * *

قالت ماري جو بإصرار مرة أخرى:

ـ أنا أحب إيثان.

لكن، حتى وهي تتكلم، أدركت أن حبه لن يكون كافياً.. فبالرغم من أنها نضجت، ولم تعد تلك المرأة الشابة الخائفة التي كانت منذ ثلاث سنوات، إلا أن الواقع لم يتغير أبداً. فإن تزوجت إيثان، قد تدمر مستقبله الواعد، وهذا عبء ثقيل عليها. وهي لن تستطيع أن تتغير، ولا يجب أن تتوقع من إيثان القيام بكل التضحيات، والتخلي عن مستقبله.

قالت لويز: «أنا واثقة من أنك تحبين ابني».

أضافت ماري جو:

ـ وهو يحبني.

أبقت ماري جو ظهرها مستقيماً، ورأسها مرتفعاً.. ثم رفعت ذقنها فخورة، وبشيء من التحدي، قالت بثقة:

ـ سنحل هذا بطريقة ما.

شكّل فم لويز درايرون ابتسامة حزينة، وهي تقول:

ـ أنا واثقة من هذا يا عزيزتي.. على أي حال، أنت على حق.. يجب أن تناقشي الأمر مع إيثان، لتصلا إلى قرار معاً.

ملست المرأة تجعيدة غير مرئية على قميصها الرمادي، وأكملت:

ـ بالرغم مما قد تظنين يا ماري جو، ليس لدي أية اعتراضات شخصية على زواجك من ابني.. حين افترقتما منذ مدة، تساءلت عما إذا كان ذلك نتيجة حديثنا العابر ولا أكتمك أنني شعرت بأكثر من ندم

بسيط. لم أكن أنوي أبداً جرح شعورك، وإذا كنت قد فعلت ذلك، فأرجو عفوك.

ـ أنا أشكرك لأنك فتحت عينيّ على أمور مهمة.

ـ قد أبدو امرأة عجوزاً متطفلة.. لكنني أرجو حقاً أن تأخذي حديثنا قلبياً، وأنا على ثقة من أنك ستفكرين جيداً بما ناقشناه. أنا كذلك أحب إيثان.. لقد باركني الله بعائلة مميزة جداً.. وكل ما أريده هو الأفضل لأولادي. وأنا واثقة من أن والديك يشعران بالشيء ذاته نحوك.

ـ هذا صحيح.

أصبح الحديث غير محتمل. وأرادت ماري جو أن تغادر.. فهي تحتاج لأن تتكلم مع إيثان، لأن تشاركه قلقها، وصورة مستقبلهما.. لكن، في أعماقها، كانت ترهب الحقيقة.

وقفت فجأة ومدت يدها إلى السيدة درايرون:

ـ شكراً لك على صدقك وبعد نظرك. صحيح أن ما سمعته لم يكن ما أرغب فيه، لكنني كنت بحاجة إلى معرفته، وأنا واثقة من أن هذا كان صعباً عليك مثلما كان صعباً علي. لدينا قاسم مشترك يا سيدة درايرون، فكلانا يحب ابنك. وما كان إيثان ليكون ما هو عليه لولا حبك وعنايتك، ومن حقك أن تكوني فخورة.

أخذت والدة إيثان يد ماري جو في كلتا يديها. وشدت عليها بحزم لعدة لحظات.

ـ أنا ممتنة لك. ابقي على اتصال.. هل ستفعلين؟

هزت ماري جو رأسها، وأجابت:

ـ إذا كان هذا يسرّك.

رافقتها المرأة المسنة إلى الباب، وخرجت معها إلى الطريق الداخلية المستديرة. صعدت ماري جو في سيارتها، وأدارت المحرك.. وهي

www.elromancia.com

تتراجع، نظرت في المرآة الخلفية لترى لويز درايرون مضطربة مستغرقة في التفكير.

عادة، تنضم ماري جو إلى عائلتها في تجمعهم أيام الآحاد.. لكن، ليس هذا الأسبوع، فهي بحاجة إلى الوقت، الوحدة، لتجمع أفكارها. قادت سيارتها إلى المرفأ، وأوقفتها ثم سارت ببطء نحو المياه.. عليها أن تفكر، وأين ستجد مكاناً أفضل من هنا.. حيث أمضت ساعات رائعة برفقة إيڤان!

لم يكن لديها فكرة كم أمضت من الوقت وهي تجلس على مقعد خشبي في مواجهة الماء.. وبدا لها أن الوقت لا أهمية له.. وتبدل الطقس ليصبح غائماً، مما تناسب مع مزاجها المكتئب.

وقفت لتسير على الرصيف الممتد في البحر.. وخفّت سرعة خطواتها وهي تدرك أن الاكتئاب لن يحل المشاكل، بل يجب أن تتكلم مع إيڤان، وبسرعة، قبل أن تفقد شجاعتها.

وجدت هاتفاً للعموم، فدست فيه قطعة نقدية معدنية، وطلبت رقم هاتف منزله. رد إيڤان متسائلاً:

ـ ماري جو.. شكراً للسماء! أين كنت؟ كنت أتصل بمنزلك كل ربع ساعة.. لدي أخبار رائعة.

لم ترغب في إفساد مزاجه، فقد بدا متحمساً، فرحاً:

ـ كان لدي عمل خاص أنجزته. ما هي أخبارك الجيدة؟

ـ سأقولها لك حين أراك.

ـ أتريدين أن نلتقي في مكان ما؟

ـ ما رأيك برصيف «وارف»؟ يمكننا أن نتمشى على الرصيف.. وحين نجوع سنجد مطعماً قريباً.

ـ سيكون هذا جيداً.

لكنها فشلت في إظهار الحماسة المناسبة. فارتفع صوته قليلاً،

وسألها:

ـ ماري جو؟ ما بك؟ تبدين منزعجة؟

ـ يجب أن نتكلم.

ـ حسن جداً.. أتريدين أن آتي لآخذك؟

حين رفضت قال:

ـ حسناً.. سألقاك هناك بعد نصف ساعة.

وفكرت ماري جو: من سخرية القدر أن يكون إيڤان سعيداً جداً، في حين تشعر هي وكأن عالمها كله على وشك الانهيار.

من المرفأ قادت سيارتها عبر جادة الأطلسي، ووجدت مكاناً مناسباً لتركنها.. لم يمض على لقائهما الأخير سوى أربع وعشرين ساعة، وها هي تتحرق شوقاً لرؤية إيڤان. وبدا من غير المعقول التفكير بقضاء بقية حياتها من دونه.

كان يقف على الرصيف بانتظارها حين وصلت، وأضاء وجهه وهي تقترب، ومد لها كلتا يديه. شعرت ماري جو بالراحة فور تلامست أصابعهما.. وخلال ثوان كانت بين ذراعيه، بأمان. ضمها إليه وكأنه لا ينوي أبداً أن يتركها.. وتمنت لو تبقى بين ذراعيه الدافئتين. تنفس بعمق، وقال:

ـ اشتقت إليك.. يا إلهي كم اشتقت إليك!

ومرر أصابعه بمحبة في شعرها. فقالت تذكره:

ـ لقد أمضينا طوال يوم أمس معاً.

الفراق عن إيڤان بضع ساعات، جعلها تتساءل كيف تمكنت من العيش طوال تلك السنوات من دونه.. وكيف يمكن لها أن تفعل هذا مرة أخرى...

ـ أحبك ماري جو.. لا تنسي هذا.

ـ لن أنسى.

www.elromancia.com

وجدت في كلماته راحة كبيرة. ودفنت وجهها في صدره تريد أن تصدق بكل ما تملك من إيمان أن هناك طريقة ما ليجدا السعادة معاً.

تمتمت:

- والآن.. قل لي الأخبار الجيدة.

أبعدها إيڤان من بين ذراعيه لكنه تأبط ذراعها وقال:

- لقد تحدثت ليلة أمس مع داميان مطولاً.. أخبرته بأمرنا.. وابتهج كثيراً. وكذلك جسيكا.. ويرسلان لك التهنئة.

قالت بنعومة:

- اشكرهما عني.. والآن، هيا، قل لي الخبر.

استندت إليه وأخذا يتمشيان بتكاسل على الرصيف، ثم قال:

- لقد اتصل داميان بعدد من الشخصيات الهامة في الأسابيع الماضية.. والرأي متفق على أن وقت تحركي السياسي قد حان الآن.

أحست ماري جو وكأن لكمة سددت إلى بطنها.. للحظة بقيت جامدة.. عاجزة عن التنفس.. وعن التفكير.. صاحت:

- الآن؟.. لكنني ظننت.. أنت قلت..

- أعرف أن بحث مسألة الانتخابات في السنة القادمة أمر مبكر.. لكن لدينا أشياء كثيرة يجب أن نتابعها..

- أي انتخابات تنوي الترشُّح لها؟

كان دماغها في دوامة، أسئلة وشكوك ترددت فيه.. أحست بالبرد، والحمى، معاً.

- سأترشح للمجلس البلدي.. سأجد متعة كبيرة في هذا المجال. لديّ أفكار عديدة لخدمة مدينتنا، ومتسع من الوقت، وقدرة على تحمل العمل الشاق.

ورفع يدها إلى شفته يقبلها ثم أضاف:

- هذا هو أحد الأسباب التي تدفعني للزواج قريباً.. سنعمل معاً،

جنباً إلى جنب، كما فعل أبي وأمي حين ترشح لمنصب سيناتور.

- أنا..

- ستضطرين إلى ترك عملك في التدريس.

تزاحمت في رأسها الاعتراضات الكثيرة، بحيث لم تعرف بأيها تتفوه أولاً.

- ولماذا لا أستطيع أن أدرّس؟

نظر إليها وكأن السؤال أدهشه، ثم أجاب:

- لن تضطري إلى العمل.. ثم إنني سأحتاج إليك، ألا ترين هذا حبيبتي؟ إنها مجرد بداية. هناك حياة جديدة بأكملها تنتظرنا.

- هل تحدثت بهذا الأمر مع والديك؟

- لقد ناقشت الأمر مع أبي هذا الصباح، وهو متفق مع داميان.. التوقيت مناسب.. ومن الطبيعي أن يرغب في أن أترشح لمنصب المحافظ بعد بضع سنوات.. وقد أفعل.. لكن لا داعي لاستباق الأمور.. فأنا لم انتخب بعد لعضوية المجلس البلدي.

- وماذا قالت أمك؟

- لست أدري ما إذا أتيحت الفرصة لأبي ليخبرها بالأمر، لكن، لماذا تسألين؟

- لقد زرتها هذا الصباح.

وحوّلت نظرها إلى الميناء..

- أمضيت الصباح مع أمي؟ في «ويسبرنغ ويلوز»؟

- أجل.

ارتفع حاجباه عالياً وسألها:

- ولماذا ذهبت لزيارتها؟

أخذت ماري جو نفساً عميقاً، ثم أجابت:

- هناك أمر يجب أن تعرفه يا إيڤان.. وكان عليّ أن أقوله لك منذ

www.elromancia.com

وقت طويل.. حين فسخت خطوبتنا منذ ثلاث سنوات، لم يكن السبب أنني وقعت في حب رجل آخر.. لم يكن هناك رجل آخر أبداً.. كانت كذبة كبيرة.

أحست به يتصلب.. ثم قطب، وضاقت عيناه، أولاً باستنكار، ثم بعدم تصديق.. ترك يدها.. فسارت إلى الأمام إلى الرصيف الممتد في البحر. وانتظرت حتى انضم إليها، واستغرق هذا الأمر بضع لحظات.

أكملت:

- لست فخورة بكذبتي تلك. وأعتذر للجوئي إلى مثل هذه الوسيلة الجبانة.. أنت تستحق أفضل من هذا بكثير.. لكنني لم أكن قوية بما يكفي أو ناجحة بما يكفي، لأواجهك بالحقيقة.

- وما هي الحقيقة؟

اشتدت قبضتاه، وأحست بغضبه، وتوقعته، وفهمته. قالت:

- لقد اخترعت قصة حب أخرى لأنني لم أكن قادرة على الصمود في وجه جدال طويل.

بدا غاضباً حقاً.. وهي لا تلومه. سألها:

- هذا لا معنى له.. ما الذي كنا سنتجادل فيه؟

- زواجنا.

- وماذا بعد؟

- لقد بدأ كل شيء في تلك الأمسية حين اصطحبتني لأقابل عائلتك.. كنت أدرك أنك ثري، طبعاً.. لكن لم يكن لدي فكرة عن مكانة عائلتك المميزة.. كنت ساذجة، ولم أختبر الحياة بعد. حين سألتني أمك بعض.. الأسئلة المحددة، أدركت أن الزواج بيننا لن ينجح.

- أي نوع من الأسئلة؟

- إيڤان.. أرجوك.. لا يهم.

- بل يهمّ... بحق الجحيم!

أغمضت ماري جو عينيها لوقت قصير، وأجابت:

- حول عائلتي.. وهل سأكون مناسبة كزوجة رجل سياسي.. وضغطت لإبراز أهمية زواجك من المرأة المناسبة.

- يبدو أن عليّ التحدث إلى والدتي.

- لا تغضب يا إيڤان.. لم تكن فظة معي، ولا قاسية، لكنها أبرزت لي بعض الحقائق التي كنت أجهلها. فيما بعد اقتنعت بأن زواجنا لن يعيش، فلدينا أشياء قليلة مشتركة.. وخشيت أنك مع الوقت.. ستندم على زواجك مني.

صدر عنه صوت اشمئزاز، وهو يقول:

- وهكذا اخترعت تلك الكذبة السخيفة وخرجت من حياتي.. وتركتني ضائعاً مرتبكاً!

همست، كأنه قال أكثر مما كان ينوي قوله:

- لقد تصرفت بغباء.. أعرف هذا.. لكنني تألمت أيضاً. لا تظن أن الأمر كان سهلاً علي. لقد عانيت، لأنني كنت أحبك، ولا أزال.

تنهد بثقل، وقال:

- أقدّر لك صراحتك ماري جو، لكن، دعينا نضع كل ما جرى وراء ظهرينا.. لم يعد الأمر يهمنا.. نحن الآن معاً وهذا هو المهم.

غشت الدموع عيني ماري جو وهي تراقب مركباً يقطع ميناء بوسطن.. أكمل إيڤان:

- من الواضح على أي حال، أنني أحتاج حديثاً صريحاً وواضحاً، مع أمي العزيزة، الحلوة، المتطفلة.

- إيڤان.. ليست هي الملامة.. الانفعال، الكذب عليك، كانا فكرتي السيئة.. لكن هذا لن يحدث مرة أخرى.

- لن أتركك تخرجين من حياتي بسهولة مرة أخرى.

www.elmomancia.com

همست: «وأنا لا أخطط لذلك».

وضع ذراعه على كتفها، فأحاطت خصره بذراعها.. للحظات كانا قانعين بمجرد أن يكونا معاً. قالت ماري جو:

- بسبب ذلك اللقاء الأول مع أمك، أحسست أنه من الضروري التحدث إليها مرة أخرى.. إنها امرأة رائعة يا إيثان، وتحبك كثيراً.

- عظيم.. لكنني أرفض السماح لها بالتدخل في حياتنا.. وإذا لم تفهم هذا الآن، ستفهمه حين أنهي حديثي معها.

- إيثان أرجوك! لم تفعل شيئاً أكثر من أنها فتحت عيني على بعض الحقائق.

- وماذا قالت هذا الصباح؟

- مسائل قديمة.

- مثل ماذا؟

- أنت تريد أن تتزوج قريباً.. صحيح؟

- وكلما أسرعنا، كلما كان أفضل.. وكما قلت سابقاً، لدينا ثلاث سنوات من الوقت الضائع يجب أن نعوضها..

بالرغم من ألم قلبها، ابتسمت:

- قالت والدتك إن حفلة زفاف صغيرة قد تسبب مشكلة لوالدك.

صاح:

- زواج من هذا؟ ستتزوج على طريقتنا يا حبيبتي. لا تقلقي!.

عارضته بنعومة:

- قد يكون الأمر مهماً يا إيثان.. لا يجوز أن يرتبط اسم والدك بأي شيء يمكن.. يمكن أن يساء تفسيره.

ضحك إيثان عالياً:

- بكلمة أخرى.. إنها تريد حفل زفاف ضخم وفخم يكلف الآلاف! هذا أمر سخيف!

- قد تكون على حق.

- وهل تريدين هذا النوع من حفلات الزفاف؟

- لا.. لا أريد هذا أبداً.. لكن من ناحية أخرى، لا أريد ما قد يؤذي والدك.

ضغط عليها بمحبة، وقال:

- ثقي بي حبيبتي.. لن تؤذي أحداً. والآن اصغي إلي.. سوف نتزوج، وسيكون لنا حفل الزفاف الذي نريده نحن.. ولن يكون أمام أمي خيار سوى القبول.

- لكن.. ماذا لو تسبب استعجالنا ببعض الشكوك.

- أتظنين أنني سأهتم؟ أمي دائماً تصنع من الحبة قبة.

- لكن..

أسكتها بعناق أكد لها أن كل شيء ممكن، وتابع يقول:

- أحبك يا ماري جو.. ولو كان الأمر بيدي، لركبنا أول طائرة متوجهة إلى لاس ڤيغاس وتزوجنا هذا المساء.

ارتفعت معنويات ماري جو كثيراً. كانت تريد أن تصدقه. لكنها لزمت الصمت فتابع قائلاً:

- اتفقنا إذن.. ستتزوج حال إكمال الترتيبات.. وبإمكان إمي افتعال الضجة التي تريدها.. فلن يفيدها هذا.

- هناك أشياء أخرى يجب أن نناقشها.

بدا السخط عليه، وسألها: «حقاً؟».

استندت إلى سياج الرصيف، تعقد يديها وتفكهما.

- أنت تريد الترشح للمجلس البلدي.. أليس كذلك؟

- أجل.. فهذا شيء أريده. وأنا على استعداد لأن أعمل لأجله.. ولن أترشح لو لم أكن مقتنعاً بأنني قد أقوم ببعض التغييرات الممكنة.. إنها الطريقة المناسبة لأدخل معترك السياسة، خاصة وأن والدي سيناتور.

www.elromancia.com

استدارت تتأمله وسألته:

- ماذا لو طلبت منك عدم الترشُّح؟

سكت لبضع لحظات يفكر في كلماتها:

- ولماذا قد تطلبين هذا؟

- وماذا لو فعلت.. ؟ ماذا ستكون ردة فعلك؟

- أولاً.. أريد أن أعرف بالضبط ما هو اعتراضك.

- ماذا لو قلت لك إنني لا أرتاح تحت الأضواء؟ أنا لست من النوع الذي يرتاح في العيش ضمن حوض للسمك.

- لن يكون الأمر هكذا.

كانت ابتسامتها حزينة.. إيڤان لن يفهم. لقد اعتاد على اهتمام الناس بحياته الخاصة..

- بل سيكون هكذا يا إيڤان.. لا تخدع نفسك، إيڤان.

- إذن.. ستعتادين.

وردت ببطء:

- سأعتاد.. وماذا لو لم أعتد؟ ماذا سيحدث؟ قد أشكل إحراجاً لك.. وكذلك عائلتي.. دعني أعطيك مثالاً.. مؤخراً انزعج جاك وريتش من مشكلة والدي المالية، حتى أنهما أرادا الذهاب إلى مكتب أديسون ليوسعاه ضرباً.. ولو لم نوقفهما، لدخلا السجن، ولوجدت الصحافة مادة دسمة.

- أنت تبالغين في ردة فعلك.

وافقت مرغمة:

- ربما... لكنني لا أعتقد ذلك.. سبق وقلت لك ما أشعر به حيال هذا الأمر. ولم تصدقني.. ولم تعر التفاتاً لأي شيء قلته لك.

- ماري جو.. أرجوك...

- ألا تعلم أن وجهي يحمرّ كلما سلطت الأضواء عليّ... أنا لست

امرأة كأمك. إنها تستمتع بالأضواء، تحب المناسبات الاجتماعية.. ولديها موهبة في أن تجعل الجميع يشعرون بالراحة.. أنا لا أستطيع ذلك يا إيڤان..

لم يقل إيڤان شيئاً.. لكن فمه اشتد، فتابعت:

- قد تظن أنني أنانية ولا أهتم.. لكن هذا غير صحيح.. أنا لست المرأة المناسبة لك وحسب.

- لأن أمي قالت هذا؟

- كلا.. بل بسبب ما أنا عليه.

تنهد إيڤان، وقال:

- أرى أنك فكرت بالأمر جيداً.

- هناك شيء آخر.. أنا معلمة جيدة، وأحب عملي. وأريد متابعة التدريس لصفوف الروضات بعد الزواج.

ابتعد إيڤان عنها بضع خطوات وأخذ يدعك مؤخرة عنقه بيده، وقال:

- إذن.. لم يبق ما أقوله.. صحيح؟ سوف أكلم داميان وأشرح له أن كل شيء انتهى.. لن أترشح لمجلس البلدية.. إذا كان هذا يريحك.

كادت تبكي. هذا ما كانت تخشاه بالضبط، فقالت له:

- أوه.. إيڤان. ألا ترى؟ أعرف أنني أمنعك من تحقيق أحلامك.. قد تحبني الآن، لكن مع الوقت، سوف تكرهني.. وسيدمر هذا زواجنا.

قال بحدة:

- أنت أهم عندي من أي مركز سياسي. كنت محقة يا ماري جو. لقد عبّرت عن موقفك حول التورط في السياسة، وأنا أحترم هذا الموقف... صحيح أنني نشأت في عائلة كانت دائماً تحت أضواء

www.elromancia.com

الشهرة.. ولكن هذا أمر قديم بالنسبة لي. وكنت مخطئاً لأنني لم أفكر بمشاعرك.

أغمضت عينيها بجهد، مقدرة استعداده للتضحية من أجلها.

- لن ينجح الأمر يا إيثان. في البداية قد لا تمانع. لكن بعد ذلك ستؤلم عائلتك. فهذا ليس حلمك فقط، بل حلمهم أيضاً.

- سأتدبّر أمر عائلتي.

- لا.. أنت جزء منهم، وهم جزء منك، والسياسة هي حلمك منذ كنت صبياً..

جرت الدموع على وجهها، فتابعت بجهد:

- كم مرة ستجبرني على أن أقول بأنني لست المرأة المناسبة لك؟

رد بشراسة: «بل أنت المرأة المناسبة».

وجذبها نحوه مضيفاً:

- لن أستمع للمزيد.. لقد أحببنا بعضنا طويلاً، ومصيرنا أن نكون معاً.

أغمضت ماري جو عينيها مجدداً وأخفضت رأسها، قائلة:

- ستجد امرأة أخرى، من عائلة مناسبة، وخلفية مناسبة.. امرأة تشاركك طموحك وأحلامك.. امرأة.. تحبك أيضاً.

اشتدت قبضته على كتفيها، دون أن يعي:

- لا أصدق أنك تقولين هذا.. أنت التي أحب وأنت التي أريد أن أتزوجها.

هزت رأسها بحزن نفياً فأكمل يقول:

- إذا كنت تصدقين حقاً أنني سأجد امرأة أخرى، فلما لم أقع في حب واحدة طوال ثلاث سنوات كاملة؟

- لأن عينيك كانتا مغمضتين. لأنك كنت مستغرقاً جداً في ألمك، ولم تنظر.. ولأسباب كثيرة.. لست أدري..

- أهذا ما تريدينه؟ أن تخرجي من حياتي للمرة الثانية وكأن شيئاً لم يكن؟

اعترفت:

- لا.. فهذا يكاد يقتلني.. أنا مستعدة للتخلي عن أي شيء في سبيل أن أكون المرأة التي تحتاج إليها.. لكن لا يمكنني أن أكون سوى أنا.. وإذا طلبت منك أن تتقبلني كما أنا.. فلن أستطيع أن أطلب منك أن تكون ما لست عليه.

قال بتصميم: «سنجد طريقة».

كم تريد أن تصدقه.. كم تتمنى لو أن هذا ممكن! أخذ إيثان نفساً عميقاً، وترك كتفيها ثم تابع:

- دعينا لا نتخذ قراراً مأساوياً الآن، فكلانا مرهق عاطفياً. لا يجب أن نتخذ قراراً في الحال.

صمت ليتنفس مجدداً بعمق ثم أضاف:

- دعينا ننام ونفكر، ثم نتكلم في الصباح.. هل هذا ممكن؟

هزت ماري جو رأسها موافقة.. فهي لن تتمكن من تحمل المزيد.

في الصباح التالي، اتصل إيثان بالمكتب بعد وقت قصير من وصولها.. وقال لها إنه سيتأخر.. صوته كان بارداً وهو يطلب منها إعادة جدولة أول موعدين له ذلك الصباح.

ظنّت ماري جو نفسها تكلم غريباً.. وتشوقت لأن تسأله عن حاله وما إذا كان لديه المزيد من الأفكار. لكن، كان من الواضح أنه يريد تجنب أي حديث شخصي.

بقلب مثقل، بدأت واجباتها الصباحية.. وحوالى التاسعة والنصف، انفتح باب المكتب ودخل داميان.. فقالت:

- لن يكون إيثان هنا قبل الحادية عشرة.

بدا داميان متردداً مرتاباً، لكنه قال:

- أجل.. أعرف. لم أجئ لرؤية إيثان.. بل لرؤيتك.

رفعت نظرها إلى داميان فوجدت نظرته دافئة متعاطفة، وسألته:

- أنا؟ لماذا؟

- زارنا إيڤان بعد ظهر الأمس وتحدث معي ومع جسيكا.. بدا مشوشاً و..

أكملت عنه: «مجروحاً؟».

إنها تعرف بالضبط ما يشعر به إيڤان، لأن الشعور نفسه يعتريها.

- لست أدري ما إذا كان كلامي معك سيحل المشكلة، لكنني فكرت في أن أجرب. ولست أدري ما إذا كنت تريدين سماعي، لكن إيڤان يحبك بصدق.

تعاظمت الغصة في حلقها.. وهزت رأسها موافقة، ثم قالت:

- أنا.. أعرف هذا.

- مما قاله لنا، عرفت أنه قرر عدم الترشُّح للمجلس البلدي.. وشرح لنا سبب إحساسه بوجوب التراجع.. ومن الطبيعي أن أدعم أي قرار يتخذه.. لكن سيكون من العار أن يتراجع.

قالت ماري جو بهدوء:

- لن أدع هذا يحدث.. أنا أحب إيڤان وأريد له الأفضل.. وبكل بساطة، لست الأفضل.

- إنه لا يؤمن بما تقولين يا ماري جو.. وكذلك أنا.

لم ترَ داعياً لمناقشة المسألة.. وسألت:

- أين هو الآن؟

- ذهب ليتكلم مع والدينا.

إذا كان هناك من يستطيع دفعه لمواجهة الحقيقة، فستكون لويز درايرون.. تمتمت:

- كلانا يحتاج إلى وقت للتفكير.. أشكرك على اهتمامك.. وأعرف أنك تفعل هذا بدافع الحب.. لكن ما يحدث بيني وبينه يهمنا وحدنا.

قال:

- لم تطلبي نصيحتي.. لكنني سأعطيها على أي حال. لا تتسرعي بالاستسلام.

- لن أفعل.

كانت تجلس وراء مكتبها ترتب البريد حين وصل إيڤان بعد الحادية عشرة بقليل، فوقفت تحييه، لكنه أشاح بنظره عنها وقال بلهجة جافة:

- لن أستطيع محاربتكما معاً.

ثم دخل مكتبه وأغلق الباب.

تصرفاته قالت أكثر من كلماته.. نظرة واحدة إليه كشفت عن استسلامه لوالديه.. لقد تقبل منهما ما لم يتقبله منها..

عادت إلى الجلوس، وبدأت تطبع كتاب استقالتها، ثم وقّعته. اتصلت بمكتب توظيف ورتبت أمر وصول بديلة عنها بعد ظهر ذلك اليوم.

بعد هذا.. دقت بابه المغلق دقّة خفيفة، ودخلت إلى مكتبه.

قال: «أدخل!».

رأته واقفاً قرب النافذة ويداه خلف ظهره، وبعد لحظة استدار ليواجهها.

بدموع تسد حنجرتها، وضعت الورقة على منضدته، وتقدمت لتقف إلى جانبه.

نقّل نظره من الورقة إليها، وبالعكس، ثم سألها:

- ما هذه؟

- كتاب استقالتي.. البديلة ستكون هنا بعد ساعة.. سأنهي يوم عملي.. وأرشدها إلى أمور المكتب، وأشرح لها واجباتها.

توقعت منه أن يجادل.. لكنه لم يفعل. وضعت يدها على خده، وابتسمت له ثم أخذت قسمات وجهه تتلاشى عن نظرها حين اغرورقت عيناها بالدموع.

وهمست: «وداعاً إيڤان».

* * *

٦ ـ اخترت الرحيل

مر أسبوع.. ويوم بعد يوم لم تعد ماري جو قادرة على تمييز الصباح من الليل. ألف ندم وندم طاردها في الليل والنهار.

وبوجود عائلتها المحبة شعرت بنوع من العزاء، فهي بحاجة إليه.. وكان في الخبر الذي وصلهم من إيڤان بعض العزاء أيضاً.. فقد اتصل بوالدها عبر السكرتيرة بخصوص استثمارات أديسون. ثم وصلت منه رسالة مقتضبة تقول إن إديسون على وشك إعادة رأس المال، إضافة إلى الفوائد.. وبما أنه احتسب أتعابها مقابل دعوى قضائية مطولة، فهي الآن لا تدين له بشيء.

قرأت ماري جو الخطاب عدة مرات.. تفتش بين السطور عن أي شيء أو خبر. لكنها، لم تجد سوى ثلاث جمل قصيرة، بصياغة عملية. لا أثر فيها لمعانٍ خفية تستطيع اكتشافها. وغشت الدموع بصرها وهي تمرر أصابعها بحب فوق توقيعه. إنها تشتاق إليه.. تحس بالضياع والفراغ.. وهذ التوقيع هو كل ما يمكن أن تصل إليه.

مر أسبوع آخر.. لم تكن فيه ماري جو أقل بؤساً من أول يوم توقفت فيه عن العمل مع إيڤان. كانت تدرك أنه يلزمها وقت وجهد لتقبل الواقع.. لكنها لم تكن مستعدة بعد.. وهكذا بقيت في شقتها، منهكة محطمة الفؤاد.

وها هي الآن جالسة أمام التلفزيون بثياب النوم تأكل رقائق الذرة الجافة.. لم تكن قد قصدت محل البقالة منذ أسابيع، ونفد الحليب من مطبخها.. وكل شيء آخر تقريباً.

رن جرس الباب، ونظرت إليه ماري جو باهتمام.. إنها والدتها على الأرجح، أو إحدى زوجات أخوتها اللواتي يعتقدن أن من واجبهن رفع معنوياتها. صاحت:

- من هناك؟

- جسيكا.

وضعت ماري جو جبهتها على الباب وتأوهت. إنها محطمة عاطفياً وجسدياً.. وهي لا تريد أن ترى أي شخص له علاقة بإيڤان.. نادت جسيكا:

- ماري جو.. أرجوك.. افتحي الباب.. يجب أن نتحدث. الأمر يتعلق بإيڤان.

لا شيء يمكنه أن يكون بهذا التأثير. صحيح أن ماري جو لا تريد رفقة أحد، لا تريد أن تكلم أحداً. لكن، لحظة تلفظت جسيكا باسم إيڤان، أدارت المقبض وفتحت لها الباب.. دخلت جسيكا وسألتها:

- كيف حالك؟

تمتمت ماري جو:

- سيء كما يبدو علي. ماذا عن إيڤان؟

- مثلك تماماً.

أزالت جسيكا كومة صحف من على الكرسي الهزاز وجلست فيه، كأنها تنوي البقاء طويلاً. سألتها ماري جو:

- أين آندي؟

وضعت جسيكا ساقاً فوق ساق، وهي تهز الكرسي بلطف غير مستعجلة على الإطلاق، ثم أجابت:

- أخذته أمي لقضاء اليوم عندها.

لاحظت ماري جو مغزى الكلام.. فجسيكا تنوي البقاء حتى تحصل على ما تريده.

ـ قلت لأمي إن لدي موعداً مع الطبيب.. وهذا صحيح.. أظن أنني حامل مرة أخرى.

ولمعت في عينيها سعادة مشرقة.

ـ تهانيّ لك.

قالت جسيكا متعاطفة:

ـ أعرف أن هذا ليس من شأني.. لكن أخبريني ماذا جرى بينك وبين إيڤان.

ـ أنا واثقة من أنه شرح لك الأمر.

لم تكن ماري جو في حال تسمح لها بترديد التفاصيل المؤلمة.. لا سيما وأن التكرار لن يحل شيئاً. ضحكت جسيكا، وقالت:

ـ إيڤان يتكلم؟ لا بد أنك تمزحين.. إنه لم يقل كلمة واحدة.. داميان وأنا حاولنا مراراً دفعه إلى مناقشة ما حدث.. لكن دونما فائدة.

ـ وهكذا.. جئت إلي.

ـ بالضبط.

بدا واضحاً أن جسيكا مصممة على البقاء إلى أن تعرف ما تريد أن تعرفه.

قاومت ماري جو الدموع، وقالت:

ـ أرجوك لا تفعلي بي هذا يا جسيكا.. إنه مؤلم جداً.

ـ لكنكما تحبان بعضكما كثيراً.

ـ لهذا السبب كان انفصالنا ضرورياً. ولم يكن سهلاً علينا.. لكن هكذا يجب أن تجري الأمور.

رفعت جسيكا يديها نحو الأعلى، وقالت:

ـ أنتما معتوهان.. ما الذي يلزم لإعادتكما إلى بعضكما وإلى صوابكما؟

ـ معجزة.

مرت لحظات استوعبت جسيكا خلالها ما سمعته، ثم سألت:

ـ وهل هناك ما أستطيع أن أفعله؟

ردت ماري جو بحزن: «كلا..».

ـ هل أنت واثقة؟

فقالت ماري جو بشكل مباغت:

ـ أفكر بمغادرة بوسطن.

جاءت هذه الفكرة المتهورة وليدة اللحظة، وعرفت ماري جو أنها الحل الأنسب.. فلن تستطيع العيش في المدينة، وفي هذه الولاية دون أن تصلها معلومات عن عائلة درايرون..

الهروب هو الحل الأفضل... سألتها جسيكا:

ـ إلى أين ستذهبين؟

ـ إلى أي مكان، إلى الشمال الغربي، واشنطن أو أوريغون. لقد سمعت أن هذا الجزء من البلاد جميل.

معلمات الروضات مطلوبات في أي مكان، ولن تجد صعوبة في الحصول على عمل... تنهدت جسيكا وقالت بعتب:

ـ بعيداً هكذا؟

كلما ابتعدت، كلما كان أفضل.. ولأول مرة منذ أسبوعين، وجدت ماري جو سبباً للتطلع إلى الأمام... سيقول لها والداها إنها تهرب، لكن الهروب ضروري أحياناً.

نظرت ماري جو بوقار إلى صديقتها، وقالت:

ـ شكراً لقدومك، أنا ممتنة لك.. أرجوكِ أخبريني حين يولد طفلك.

ردت جسيكا بعينين حزينتين: «سأفعل».

ـ سأتابع أخبار الانتخابات في السنة المقبلة، وسيكون قلبي مع إيڤان.

www.elromancia.com

غادرت جسيكا بعد ذلك بقليل، محبطة غاضبة. تعانقتا وسط وعود بالبقاء على اتصال، فماري جو تعتبر زوجة أخ إيڤان صديقة مميزة.

وفجأة، ارتسم أمام ماري جو هدف محدد. ارتدت ملابسها، وقامت بعدد من الاتصالات الهاتفية، وفتحت الأبواب لتترك أشعة الشمس تدخل. وفي وقت متأخر من بعد الظهر، أنجزت أكثر مما أنجزته في الأسبوعين المنصرمين.

قبل أن تعلن قرارها، اتصل بها والدها وأخبرها أنه تلقى شيكاً بماله كله.. ليس هذا وحسب بل إن إيڤان عرّفه بخبير مالي محترم. فقالت ماري جو: «هذا عظيم..».

وكبتت دموعها. كان طلب المساعدة من إيڤان، قراراً صحيحاً.

قالت وهي تحضّر نفسها للمواجهة المحتومة:

- أحتاج إلى أن أتكلم معك ومع أمي. وسأكون عندكما بعد دقائق.

لم يكن اللقاء ناجحاً.. ولم تكن تتوقع أن ينجح. فقد كان لأبويها لائحة طويلة من الاعتراضات التي دامت ما يقارب الساعة. لكن قرارها لم يتزحزح. ستغادر بوسطن، وستجد لنفسها حياة جديدة.

لدهشتها، دعمها أخوتها.. وأصر جاك على أنها أصبحت كبيرة بما يكفي لتتخذ قراراتها بنفسها.. كلماته أقنعت الوالدين أكثر من جدالها معهما لساعات.

يوم الجمعة الذي سبق موعد رحيلها، أمضته ماري جو مع أمها.. كانت ماريانا تكبس الخيار في المطبخ، وتمسح عينيها بين الحين والآخر خلسة، كي لا تراها ابنتها.

تظاهرت ماريانا بالشجاعة، وقالت:

- سأشتاق إليك.

وانكمش قلب ماري جو، وهي تجيب:

- وأنا كذلك.. لكن يا أمي.. تجعلين الأمر يبدو وكأنك لن

تسمعي أخباري مرة أخرى.. أعدك بأن أتصل بك هاتفياً مرة في الأسبوع على الأقل.

- اتصلي حين تكون أسعار التخابر رخيصة.. فهمت؟

كبتت ماري جو ابتسامة: «طبعاً».

قالت الأم بعفوية:

- لقد تحدثت إلى إيڤان.

جمدت ماري جو، وعلقت أنفاسها في صدرها. فتابعت الأم:

- قلت له إنك قررت مغادرة بوسطن.. أتعرفين ماذا قال؟

- لا.

وخرجت الكلمة من حلقها متسارعة كالهستيريا:

- قال.. إنك تعرفين ما هو الأفضل لك.. لكنه لم يبدُ متمالكاً نفسه.. أنا قلقة على هذا الصبي.. لكنني قلقة عليك أكثر.

- أمي.. سأكون بخير.

- أعرف هذا.. فأنت من أسرة سومرهيل، ونحن عائلة قوية.

لحقت ماري جو بأمها لتضع التوابل في كل وعاء. وأكملت الأم:

- لم تخبريني أبداً بما جرى بينكما، ولو أنك لست مضطرة.. فلدي عينان واسعتان، ولم يلزمني وقت طويل لأعرف أن عائلته لها دخل بالموضوع.

لم يدهشها بعد نظر أمها، لكنها لم تؤكد ولم تنف استنتاجها.

قال نورمان سومرهيل وهو يدخل المطبخ:

- وصل البريد.. لقد طلبت من إحدى الشركات السياحية إرسال كتيبات لنا عن جزر جنوبي الباسفيك... حين تنتهيان من توضيب هذه الأوعية، سنجلس ونقرأ ما تقوله.

هزت ماريانا رأسها بلهفة: «لن نتأخر».

وضع الوالد بقية البريد على الطاولة.. المغلف العلوي جذب انتباه

www.elromancia.com

ماري جو.. فعنوان المرسل كان محكمة الإفلاس.. لكنها لم تفكر بالأمر إلا فيما بعد حين فتح والدها المغلف. قال متمتماً:

- أتساءل، ما هذا؟

ومد ذراعيه أمامه ليقرأ. فوبخته ماريانا:

- نورمان، بحق السماء، ضع نظارتيك!

غمز ماري جو، وقال:

- خذي يا ماري جو اقرأيها لي.

أخذت الرسالة ونظرت إلى فحواها. وفيما هي تقرأ، انقلبت معدتها.. محكمة الإفلاس كتبت لأبويها عن استثمارات أديسون.. عليهما ملء الأوراق اللازمة، وتقديم الدليل حول مبلغ الاستثمار..

الإجراءات القانونية كانت صعبة الفهم بالنسبة لماري جو.. لكن شيئاً واحداً كان واضحاً: استثمارات أديسون لم ترد بعد مال والدها... إيڤان فعل هذا!

قالت ماري جو، وقد تملكها الارتباك:

- هذا لا شيء أبي.

- إرمها إذن.. لست أدري لماذا يصلنا هذا البريد التافه كله هذه الأيام.

وضعت ماري جو الرسالة في حقيبتها، واعتذرت، لتغادر المنزل بسرعة. لم تكن واثقة مما ستفعله، لكن إذا لم تهرب بسرعة، لن تستطيع إخفاء دموعها.

لقد فعل إيڤان هذا من أجل عائلتها لأنه يحبها، وهذه هي طريقته في وداعها.

انطلق صوت زمير من خلفها فجعلها تلتفت.. واندفع الأدرينالين في عروقها وهي ترى السيارة الضخمة المنطلقة بسرعة نحوها.

وبعد ذلك، لم تسمع سوى صوت اصطدام المعدن بالمعدن...

وضجّ الصوت في أذنيها، فرفعت يديها إلى وجهها بشكل غريزي.. كانت الصدمة قوية بحيث أحست وكأنها علقت وسط انفجار.

وتفتتت عالمها.. ولم يعد فيه سوى الألم. وبدأ رأسها يدور، وبصرها يتلاشى، فصرخت. وخطر لها قبل أن تفقد وعيها، أنها ستموت.

* * *

سأل صوت ذكري أجش:

- لماذا لم تتصل بي فوراً؟

بدا الصوت آتياً من مسافة بعيدة، وتقدّم ببطء إلى عقل ماري جو وهي تطوف، دون وعي، على غيمة سوداء سميكة. بدا كصوت إيڤان، لكنه ليس كذلك.. فالكلمات وصلتها متكاسلة غير واضحة.

- حاولنا ذلك.. لكن سكرتيرتك قالت إنه ليس بالإمكان الاتصال بك.

إنه صوت والدها. لكنه بدا غريباً أيضاً، وكأنه آت من قعر بئر عميق.. وبدا أن الكلمات تتطلب وقتاً طويلاً لتصل إليها.. ربما لأن رأسها يؤلمها جداً.. فالضجيج فيه قوي ومؤلم.

عاود إيڤان الكلام:

- لقد حضرت حال سمعت الخبر.. هل إصابتها خطرة؟

- يقول الطبيب إنها أصيبت في رأسها، وهي فاقدة الوعي.

قالت أمها بلهجة مهدئة:

- ستستفيق قريباً.. اجلس الآن واسترخِ. كل شيء سيكون على ما يرام.. أنا واثقة من ذلك.

كانت أمها تهدّىء إيڤان وكأنه أحد أولادها، ولم تفهم ماري جو لماذا يقلق إيڤان هكذا. ربما يخشى أن تموت. ربما هي ميتة الآن.. لكنها قررت أن هذا مستحيل لأنها تتألم كثيراً.

www.elromancia.com

- ماذ فعلوا برأسها؟

- اضطروا لحلق شعرها.

- إنها تبدو..

ولم يكمل إيڤان جملته.

- ستكون بخير يا إيڤان. اجلس الآن هنا إلى جانبها. أعرف أنك صدمت.

أرادت ماري جو أن تطمئن إيڤان بنفسها. لكن فمها رفض أن يتحرك، ولم تستطع الكلام.. هي قادرة على السماع، لكنها عاجزة عن الكلام أو الرؤية.. عندما حاولت التحرك، وجدت أن ذراعيها وساقيها لا تتعاون معها. وغمرها إحساس بالذعر، وزاد الألم.

وعلى الفور تقريباً، عادت لتطوف فوق سحابة سوداء.. وتلاشت الأصوات.. أرادت أن تصرخ، أن تستعيد وعيها، لكن لم يكن لديها القوة الكافية.

الشيء التالي الذي سمعته ماري جو، كان صوت نقر ناعم.. ولزمها لحظات عدة لتعرف مصدر هذا الصوت.. هناك شخص في غرفتها، يسير جيئة وذهاباً.. كان يبدو نافد الصبر متلهفاً.

تناهى إليها صوت أنثوي، بدا مألوفاً:

- كيف حالها؟

- ليس هناك أيّ تغيير.

هذا صوت إيڤان. هو الذي يذرع الغرفة.. وجوده إلى جانبها ملأ أحاسيسها بالأمان.. لسوف تستعيد وعيها إذا كان إيڤان معها.. أما كيف عرفت هذا؟ فلم تحاول أن تكتشف الجواب.

سألته جسيكا: «كم مضى عليك هنا؟».

- بضع ساعات.

- يبدو أنها أكثر من أربع وعشرين ساعة.. لقد التقيت بوالدي

ماري جو قرب المصعد.. لقد غادرا لبناما قليلاً.. وأنت يجب أن تفعل مثلهما أيضاً.. سيتصل المستشفى لو حدث أي تغيير.

- سأبقى هنا!

ضحكت ماري جو في نفسها.. إنها تعرف هذه النزعة العنيدة فيه.

احتجّت جسيكا:

- إيڤان.. أنت لا تفكر بوضوح.

- أجل.. أعرف. لكنني لن أتركها يا جسيكا. والجدال لن يفيد.

ساد صمت قصير.. وسمعت ماري جو صوت جرّ كرسي فوق الأرض، تُقرّب من سريرها.

- كانت ماري جو ستغادر بوسطن.. هل علمت ذلك؟

رد إيڤان: «أعرف.. لقد اتصلت بي أمها وأخبرتني».

- هل كنت ستمنعها؟

مر وقت طويل قبل أن يرد: «كلا».

- لكنك تحبها.

- جسيكا.. أرجوك.. دعينا من هذا.

إيڤان يحبها.. وهي تحبه.. لكن دون أمل.. تجمعت شهقة بكاء في صدرها.. وشعرت ماري جو برغبة غامرة في البكاء. قال إيڤان بانفعال:

- لقد تحركت.. هل رأيت؟ لقد حركت يدها.

أحست ماري جو أنها تنجذب مجدداً إلى الهوّة السوداء، حيث لا صوت.. وأحست أن الظلام يطبق عليها كأنه ملاءة سوداء معتمة.

حين فتحت ماري جو عينيها. لم ترَ سوى فراغ أزرق ولزمها لحظات لتدرك أنها السماء خارج نافذة المستشفى. رمشت بعينيها تحاول أن تتذكر ماذا تفعل في هذا السرير، وهذه الغرفة.

لقد أصيبت بحادث سيارة.. هذا كل شيء. ولم تتذكر

www.elromancia.com

التفاصيل.. سوى أنها أوشكت على الهلاك.. وآلمها رأسها مجدداً. لم يكن الألم شديداً الآن، لكنه موجود.. وأشعة الشمس جعلت عينيها تدمعان.

بذلت جهداً كبيراً لتدير رأسها إلى الجانب الآخر.. كانت أمها تجلس إلى جانب السرير ووالدها يقف في الجانب الآخر من الغرفة.

- أمي.

صوتها كان منخفضاً متحشرجاً.

قفزت ماريانا سومرهيل واقفة، وصرخت:

- نورمان.. نورمان.. ماري جو استفاقت.

غطّت والدتها وجهها بيديها وانفجرت بالبكاء. كان منظر أمها وهي تبكي غريباً. ونظرت ماري جو إلى أبيها لترى عينيه مبللتين أيضاً بالدموع. قال وهو يرفع يدها إلى شفتيه:

- إذن.. قررت العودة إلى عالم الأحياء.. أهلاً بعودتك.

ابتسمت بمشقة كبيرة. أخذت أمها تمسح عينيها بمنديل ورقي، وهي تسألها: «كيف تشعرين؟».

ردت بصعوبة: «متعبة».

- توقع الطبيب أن تعودي إلى وعيك بسرعة.

وتمكنت من السؤال بصوت متكسر: «أين إيفان؟».

ردت أمها:

- كان هنا قبل دقائق.. منذ سماعه بالحادث وهو مرابط هنا، ولم يستطع أحد إقناعه بأن يغادر الغرفة.

قال والدها:

- إنه يتحدث الآن مع أخصائي شهير.. كان قلقاً جداً.. كلنا كنا خائفين.

أغمضت عينيها.. وأحست بضعف لا يصدق.

قالت أمها تطيب خاطرها:

- نامي.. كل شيء سيكون على ما يرام.

احتجّت ماري جو.. لا.. لا.. وقاومت النوم. ليس بعد، ليس بهذه السرعة. لديها العديد من الأسئلة التي تحتاج إلى جواب.. لكن الصمت احتواها مرة أخرى.

كان الوقت ليلاً حين تحركت مجدداً.. ورأت القمر يضيء الغرفة بنوره اللطيف. افترضت أنها لوحدها، ثم لاحظت ظلاً معتماً على الجدار.. كان الشكل الجامد جالساً على كرسي إلى جانب السرير.. إنه إيفان.. عرفت هذا فوراً. كان نائماً، وذراعاه على حافة الفراش تدعمان رأسه. وضعت يدها فوق يده.. ثم تثاءبت وأغمضت عينيها.

سألتها ماريانا وهي تحمل صينية الطعام وتضعها على طاولة قرب السرير:

- هل أنت جائعة؟

كانت ماري جو جالسة مستوية للمرة الأولى:

- لست أدري.

- ستأكلين من طعام المستشفى إلى أن تعودي إلى البيت وأطعمك بشكل لائق.

ولأول مرة استوعبت ما يحيط بها.. كانت الغرفة مليئة بالزهور.. سألت:

- من أرسل هذه الزهور كلها؟

- أخوتك.. والدك وأنا. هاتان الباقتان من جسيكا وداميان.. دعيني أرى.. والمعلمات في مدرستك القديمة.. أما تلك الباقة الأنيقة فهي من أسرة درايرون.. وباقة القرنفل الزهري اللون من غاري.

- هذا لطف من الجميع.

لكن ماري جو لاحظت أن هناك عدداً من الباقات تجاوزتها أمها. ويمكن أن تكون من إيڤان.

إيڤان!... مجرد التفكير فيه جعلها تشعر بالحزن الشديد. منذ أن استعادت وعيها، لم يتوقف عن زيارة المستشفى. كان هنا في وقت مبكر، إنها واثقة من ذلك.. لكن ما أن زال الخطر عنها، حتى ترك حياتها مرة أخرى.

قالت ماريانا:

- كلي شيئاً. أعرف أن هذا ليس كطبخ أمك، لكنه لا يبدو سيئاً.

هزت ماري جو رأسها رفضاً، واستلقت مجدداً.

- لست جائعة.

- حبيبتي.. أرجوك.. لن يخرجك الأطباء من المستشفى قبل أن تستعيدي قوتك.

لكن إيڤان ليس الوحيد الذي يملك نزعة إلى العناد. وكتّفت ذراعيها رافضة النظر إلى الطعام. لكن أمها أقنعتها أخيراً بتناول بعض اللقمات.

التقت عيناها بعيني والدها الدافئتين الحنونتين. فسألت:

- هل كان الحادث غلطة مني؟

- لا.. فالسيارة الأخرى كانت مسرعة جداً.

- وهل أصيب غيري؟

أمسك يدها بيديه، وقال: «لا أحد».

- أنا آسفة لإقلاقكم.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجهه، وهو يجيب:

- أخوتك كانوا قلقين مثلي وكذلك إيڤان.

- كان هنا.. أليس كذلك؟

- على الدوام. لم يستطع أحد إقناعه بالمغادرة ولا حتى عائلته.

لكنه ليس هنا الآن.. وهي تحتاج إليه حقاً.

ربت والدها على يدها بلطف.. وتكلم وكأنه يقرأ أفكارها.

- للحياة طريقتها الخاصة في تصحيح الأمور. كل الأمور ستسير كما يفترض بها أن تكون تماماً. لذا لا تفكري كثيراً بإيڤان أو أي شيء آخر.. فكري في أن تشفي فقط.

- سأفعل.

لكن قلبها كان مع إيڤان.

مر أسبوع كانت ماري جو خلاله تستعيد قوتها تدريجياً.. برأس حليق، بدت وكأنها خارجة من فيلم خيال علمي..

إذا استمرت في التحسن على هذا المنوال، من المفترض أن تخرج من المستشفى خلال يومين تاليين.. وهذه أخبار جيدة.

أمضت جزءاً من فترة الصباح تتمشى ببطء في الممرات. لا زالت تتعب بسهولة، وتتوقف باستمرار لتتحدث مع الممرضات والمرضى الآخرين.. بعد ساعتين، قررت العودة إلى سريرها.

دخلت الغرفة، وتوقفت فجأة.. كانت لويز درايرون تقف قرب النافذة.

لا بد أن لويز أحست بعودتها، ولم تستطع إخفاء فرحتها لرؤية ماري جو.. وبدت غير قادرة على الكلام للحظات.

أخذت ماري جو زمام المبادرة:

- مرحباً سيدة درايرون.

- مرحباً يا عزيزتي.. أرجو ألا تمانعي في زيارتي لك وأنت على هذه الحال.

- لا.. بالطبع لا أمانع.

تقدّمت إلى السرير واستلقت.

ـ أسفت جداً لسماع خبر الحادث.

سوّت ماري جو الأغطية حول ساقيها واستندت إلى الفراش المرتفع، وقالت:

ـ أنا في طريقي إلى الشفاء الآن.

ـ هذا ما فهمته. وسمعت أن عودتك إلى البيت قريبة.

ـ هذا ما آمله.

ـ هل هناك ما أستطيع أن أفعله لك؟

أدهش العرض ماري جو، وأجابت:

ـ لا.. شكراً لك.

ابتعدت لويز عن النافذة ووقفت عند طرف السرير.. بدت كصورة مكتملة للأناقة التقليدية بقبعتها الصغيرة وقفازها الأبيض.. نظرت مباشرة إلى ماري جو، قائلة:

ـ فهمت أن جسيكا زارتك مرات عدة.

ردت ماري جو:

ـ أجل. كانت لطيفة جداً. أحضرت لي آلة تسجيل وبعض الكتب المسجلة.

ـ لا بد أن جسيكا أخبرتك أنها تتوقع مولوداً جديداً.

دون إنذار مسبق، انقبض قلب ماري جو بألم، وقالت:

ـ أجل وأنا مسرورة لها.

ـ وطبعاً، أنا ووالتر متشوقان لرؤية حفيد آخر.

لم تعد قادرة على النظر إلى والدة إيثان، فركزت نظرها خارج النافذة.. الضيق في صدرها رفض أن ينزاح.. وأدركت أن مصدر الألم عاطفي.. إنها تتشوق لأن يكون لديها طفل.. طفل إيثان. لقد تحدثا عن منزلهما وخططا لعائلة. ولمعت في رأسها صورة المنزل الذي صمّمه، بفناء مليء بأطفال ضاحكين لاعبين.

الآن، لن يُبنى ذلك المنزل.. ولن يكون هناك أولاد.. ولا زواج.. ولا إيثان!

أضافت السيدة درايرون:

ـ وبالطبع يكاد داميان يطير فرحاً.. سيكون عمر آندرو عشرين شهراً حين يولد الطفل.

تساءلت ماري جو لماذا تخبرها السيدة درايرون بكل هذا.. لم تستطع التفكير بشيء آخر.. ووجدت الحديث مرهقاً.. فأغمضت عينيها.

ـ هل أتعبتك كثيراً؟

تمتمت ماري جو بأدب: «شكراً لزيارتك».

اتجهت لويز إلى الباب، ثم ترددت وعادت إلى السرير.

سألتها ماري جو:

ـ هل نسيت شيئاً يا سيدة درايرون؟

ـ أجل.. هناك شيء هام.. وأنا المخطئة.. لقد جئت إلي منذ مدة فأحبطت عزيمتك، ثم أحبطت عزيمة إيثان كذلك، حين جاء يتحدث إلى والده وإليّ.

ـ سيدة درايرون.. أرجوك..

ـ لا.. دعيني أنهي كلامي.

أخذت نفساً عميقاً وركزت نظرها على ماري جو، ثم قالت:

ـ وبعد أن أدركت ما فعلته، يمكنني الآن أن أتخلى عن أي شيء أملكه، إذا ما وافقت على الزواج من ابني.

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ سيدة اللعبة

لم تصدّق ماري جو أذنيها.

ـ لست أفهم!

في قرارة نفسها كانت تعرف أن السيدة درايرون نادراً ما تكشف عن مشاعرها، وهي نادراً ما تفقد السيطرة على نفسها. وها هي الآن تكاد تفقد هذه السيطرة وبشكل خطير.

ـ هل.. تمانعين إن جلست؟

وتمنت ماري جو لو اقترحت عليها هذا بنفسها.

ـ أرجوك.. تفضلي بالجلوس.

جذبت لويز الكرسي القريب من السرير، ودهشت ماري جو من رقتها وهشاشتها.

ـ قبل أن أقول المزيد.. يجب أن أطلب منك الغفران.

ـ أنا؟

ـ أجل يا عزيزتي.. حين جئت إلي تناقشين أمر زواجك من ابني، أعجبت بك.. وبشجاعتك، وإحساسك بالمسؤولية. بالطبع تعرفين ما كان موقفي حين جاء بك إيثان للعشاء منذ ثلاث سنوات، كنت يومها فتاة صغيرة مليئة بالبهجة، إلا أنني لم أستطع تصورك زوجة له. لكن ابني كان مولعاً بك، كما ظهر لاحقاً.

حاولت ماري جو أن تتكلم، لكن السيدة درايرون هزت رأسها، مصممة على إنهاء اعترافها.

ـ قررت تلك الليلة بالذات أن أتحدث إليك.. لم أكن أنوي أن

أجرحك أو أن أجرح إيثان.. وحين عرفت أنكما انفصلتما، أدركت أن لموقفك هذا علاقة بما قلته لك.

بدأت نبضات قلب ماري جو تتسارع إثارة، وقالت:

ـ أنت تعنين إذن ما قلته منذ قليل.. حول رغبتك في أن أتزوج إيثان.

ـ عنيت كل كلمة! حين تتعرفين إلي بشكل أفضل، ستتأكدين من أنني نادراً ما أقول ما لا أعنيه.. والآن، أرجوك دعيني أكمل.

ـ طبعاً.. أنا آسفة.

نظرت إليها السيدة درايرون بابتسامة مرحة، وقالت:

ـ عندما نتعارف أكثر، لن تشعري بالارتباك هكذا. وأتمنى أن نصبح صديقتين يا ماري جو.. على أي حال، أنا أدعو السماء كي تكوني أم أحفادي.

وابتسمت مجدداً ثم أضافت:

ـ نصفهم على الأقل.

رمشت ماري جو لتمنع دموعها من الانهمار، وقد تأثرت كثيراً بندم المرأة المسنة.

ـ الآن.. أين كنت؟ أوه.. أجل. كنا نتحدث عن ثلاث سنوات مرت.. لقد قررت أنت وإيثان، أن لا تريا بعضكما.. بصراحة، وسامحيني على هذا، شعرت بالارتياح. لكن، بدا أن إيثان لم يتحمل الفراق.. وأدركت يومها أنني تصرفت بتسرع. ولأشهر، فكرت في أن أتصل بك ولكنني ترددت. أخجل أن أقول لك بأنني كنت جبانة.. وخفت من مواجهتك.

ـ سيدة درايرون.. كان هذا منذ زمن بعيد.

ـ أنت على حق.. لكنه لا يخفف من إحساسي بالذنب.

صمتت قليلاً ثم أكملت:

www.elromancia.com

ـ لقد تغيّر إيڤان في ذلك الخريف.. لطالما كان شاباً خالي البال.. صحيح أنه عاد إلى مزاحه ونكاته نسبياً، لكنه لم يعد كما كان، فقد اختفت السعادة من عينيه. كان يائساً وقد ظهر عليه ذلك.

في تلك الأشهر الكئيبة لم تكن ماري جو أفضل حالاً.

ـ حدث في ذلك الوقت أن قرر والتر الترشح لمجلس الشيوخ.. وانقلبت حياتنا رأساً على عقب.. همنا الوحيد كان إيڤان.. الانتخابات كانت مهمة لوالتر، وبطريقة ما، شكّل إيڤان مشكلة.. يجب أن أعترف بأننا لم نكن فخورين بما فعلناه. أحسست أنا ووالتر أن جسيكا كيلرمان هي المرأة المناسبة لإيڤان.. وفعلنا كل ما في وسعنا لتشجيع إقامة علاقة بينهما.. وكما تعرفين، وقع داميان وجسيكا في حب بعضهما.. قد تعتقدين أنني تعلمت درساً في مسألة التدخل في حياة ولديّ، لكن هذا لم يحصل.

وتمنت ماري جو لو تستطيع النطق بما يريح لويز.

ـ في بداية هذا الصيف لاحظنا، والتر وأنا، سعادة مستجدة في حياة إيڤان. بدا أنه يعود كما كان.. فيما بعد عرفنا أنك تعملين عنده.. فقررت ألا أقف في طريقكما إذا أردتما تجديد حبكما.

ردت ماري جو بسرعة: «لكنك لم تفعلي».

ـ لقد جئت إلي وأصريت على حفلة زفاف صغيرة خاصة.. كان من الواضح أنك لا تفهمين المطالب الاجتماعية المتوجبة على رجل سياسي. ولاحظت أنك بدأت تفقدين شجاعتك، فلم أحاول أن أغيّر الموقف.. في ذلك الوقت، بدا لي أن هذا هو الحل الأفضل.

ـ سيدة درايرون.. أنت تحمّلين نفسك ملامة أكثر مما يجب.

ـ هذا ليس كل شيء يا ماري جو.

أمسكت حقيبتها بكلتا يديها وأخفضت رأسها:

ـ جاء إيڤان ليكلّم والتر ويكلمني في شأنكما، ولا أعتقد أنني رأيته

يوماً أكثر غضباً.. ما من امرأة عرفت مثل تلك السلطة على ابني. ويؤلمني أن أعترف.. بأنني شعرت بالغيرة.. وقلت له: إذا كانت ماري جو على استعداد لفسخ الخطوبة مرة أخرى بعد أول خلاف بينكما فهي إذن ليست المرأة الصالحة لك. ولا بد أنني كنت مقنعة أكثر مما أدركت.. وقال لي إيڤان فيما بعد إنه لن يستطيع مقاومتنا معاً، وقرر أن يذعن لرغباتك.

تمتمت ماري جو: «هذا ما قاله لي أيضاً».

ـ مضت أسابيع عدة، ولم يتغير شيء. لا زال ابني يحبك كثيراً. حين حصل الحادث، ظل ملازماً المستشفى.. جئت إلى هنا بنفسي صباح يوم باكر، فوجدته يجلس قرب سريرك.

صمتت، وارتجفت شفتها السفلى ثم أضافت:

ـ عرفت عندها أنك لست مجرد هوى عابر في حياته.. إنه يحبك كما لم يحب امرأة أخرى، وعلى الأرجح لن يفعل ثانية.

مالت ماري جو إلى الأمام، وقالت:

ـ لن أكون يوماً مرتاحة تحت الأضواء يا سيدة درايرون.. لكنني مستعدة لأن أقوم بما في وسعي لأكون الزوجة التي يحتاجها إيڤان.

فتحت السيدة درايرون حقيبتها، وأخرجت منديلاً أبيض أنيقاً، مسحت به دموعها:

ـ أخشى أن يكون الوقت قد حان لاعتراف آخر.. لطالما آمنت أن إيڤان سينجح في عالم السياسة. ولم أخف طموحي هذا.. لكنه كان.. طموحي أنا.. وليس طموحه.. وإذا قرر دخول المعترك السياسي، فينبغي أن يكون هذا قراره.. لا قراري. أنا مصممة على البقاء خارج الموضوع تماماً.. أعدك بأنني لن أتدخل.. لقد تعلمت درسي أخيراً.

غير قادرة على الكلام، مدت ماري جو يدها إلى يد السيدة درايرون

وأمسكتها بحنان. فقالت لويز:

- يسعدني كثيراً أن نصبح صديقتين يا ماري جو. وسأفعل كل ما في وسعي لأتوقف عن لعب دور العجوز المتطفلة.

- لقد تعلمت أمي درسها من أخي الأكبر جاك وزوجته.. قد ترغبين يوماً في التحدّث معها وتبادل القصص.

وقفت لويز لتقبّل ماري جو، وقالت:

- بكل سرور.. ستعودين إلى إيڤان إذن حين تتعافين؟

ابتسمت ماري جو، وأجابت:

- حالما أبدو حسنة المظهر.

- تبدين رائعة الآن.. صدقيني.. اجعليه سعيداً يا ماري جو.

- سأفعل كل ما في وسعي.

- وأرجوك.. أبلغيني كي أناقش مع والدتك أمور الزفاف.

فقالت ماري جو بشيء من التسرّع:

- سيكون حفل الزفاف صغيراً وخاصاً.

- كما تريدان.

- لكن، ربما نقيم حفل استقبال كبير بعد الزفاف وندعو من تشائين.

- فكرة رائعة.

- شكراً لزيارتك.

دمعت عين لويز، وقالت:

- لا.. الشكر لك يا عزيزتي.

بعد زيارة لويز درايرون، كان شفاء ماري جو أسرع من المتوقّع. وخرجت بعد يومين لتقضي أسبوع نقاهة في منزل أهلها، قبل أن تشعر بأنها جاهزة لمواجهة إيڤان.

حسب قول جسيكا، كان يخرج دائماً للإبحار في مركبه

الشراعي.. وبمساعدة صديقتها، كان من السهل معرفة مواعيد خروجه.

صباح يوم سبت، كانت الشمس مشرقة والريح قوية.. فتوجهت ماري جو إلى المرفأ.. واستخدمت مفتاح داميان لتصعد إلى السطح وتنتظر إيڤان.

لم يطل بها المقام حتى وصل.. ولا بد أنه شاهدها على الفور.

كانت لا تزال تشعر بعدم الارتياح بسبب مظهر شعرها. وصل الآن إلى طول نصف إنش وحاولت حجبه بغطاء رأس، غير أنها بدت مثل قارئة الكف.. وهكذا تخلت عنه.

- ماري جو؟

قالت ممازحة:

- تصعب معرفتي دون شعر.. أليس كذلك؟

- ماذا تفعلين هنا؟

- أردت أن نتحدث.. وهذا هو المكان المناسب.. هل ستخرج في المركب؟

تجاهل السؤال.. وتأرجح المركب وهو يصعد على متنه، ويجلس إلى جانبها:

- كيف حالك؟

- أفضل بكثير.. ضعيفة قليلاً، لكنني أكتسب المزيد من القوة يوماً بعد يوم.

- متى خرجت من المستشفى؟

إنه يعرف الجواب كما تعرفه.. فلماذا يتلهّى بحديث سطحي في وقت كهذا؟

- أنت تعرف.. أمك قالت لك أو جسيكا.. ولقد كنت في المستشفى يا إيڤان!

www.elromancia.com

اشتد ضغطه على فمه لكنه لم يقل شيئاً.

ـ مرت بي فترات كنت أسمع فيها ما يجري حولي. كنت صاحية، نوعاً ما، حين جئت إلى هناك أول مرة.. وفي مرة أخرى سمعتك تذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً.

اعترف بخشونة:

ـ لم أخف في حياتي مثل خوفي عليك.

ولفها بذراعيه، لكن بلطف وحذر. أراحت رأسها على كتفه، فاشتدت قبضته عليها قليلاً وأحست بأنفاسه الحارة.. قالت:

ـ فهمت أن مال أبي عاد إليه.. مع الفائدة.

ـ أجل.. كان من بين المحظوظين القلائل الذين أعيدت إليهم أموالهم.

ـ أموالهم؟ إيثان.. أعرف ما فعلته!

قطب، ورسم على وجهه علامة سؤال:

ـ عم تتحدثين؟

ـ كان يمكن لخطتك أن تنجح، لو لم تصل الأوراق.

ـ أية أوراق؟

ـ يوم الحادثة تلقى والدي رسالة من محكمة الإفلاس ولا بد أنك تعرف ذلك. كيف تفسر هذا؟

هز كتفيه: «لا فكرة عندي».

ـ إيثان أرجوك، لا داعي للتلاعب معي.

سار إلى الطرف البعيد من المركب ونظر إلى ساعته.

ـ أتمنى لو كان لدي الوقت الكافي لتبادل الحديث.. لكن، لسوء الحظ.. سأقابل صديقاً.

ـ إيثان، نحن بحاجة لأن نتحدث.

ـ أنا آسف.. كان يجب أن تبلغيني مسبقاً.. يمكننا أن نجتمع في

وقت آخر.

تظاهر بالنظر إلى الرصيف، ثم ابتسم، ولوح بلهفة.

امرأة شقراء ممشوقة وجميلة، لوّحت له. كان لها جسم عارضة أزياء، وأخذت تموء كالقطط حين قفز ليلتقي بها إلى جانب المركب.. رمت بذراعيها حول عنقه وطوت ساقاً نحيلة عند الركبة.

ذهلت ماري جو.. لقد سمعت أمه تقول إنه متيّم بها ويحترق شوقاً.. لكن من الواضح أن هناك شيئاً ما لا تعرفه السيدة درايرون.

أمام كمال هذه الأنثى الجميلة شعرت ماري جو بأنها فتاة صغيرة حليقة الرأس. وكادت تقع من على ظهر المركب وهي تنزل مستعجلة.

بعد تعارف سريع لم تسمع منه شيئاً، اعتذرت وغادرت المكان.. حين عادت إلى سيارتها تهاوت على المقود، تغطي وجهها بيديها.

عادت إلى منزل أبويها مصدومة غاضبة واتصلت بجسيكا لتروي لها ما حدث.. وكانت ممتنة لعدم وجود والديها في البيت.

أخذت تذرع غرفة الجلوس متوترة إلى أن وصلت جسيكا بعد ساعة.

ـ آسفة لتأخري.. سائق التاكسي حديث العهد في المهنة.. ماذا جرى؟

أخبرتها ماري جو تفاصيل ما حدث، راسمة صورة حية لتلك المرأة. قالت جسيكا وهي تدير وجهها إلى ناحية أخرى:

ـ لقد وقعت في الفخ!

ـ وقعت في الفخ؟.. رمت بنفسها عليه يا عزيزتي. لقد رأيت ذلك بنفسي ولم يخبرني أحد!

ضحكت جسيكا:

ـ ماري جو.. كوني متعقلة.. الرجل يحبك.

ـ أجل.. ولكن...

www.elromancia.com

ـ اسمها باربرا، وليست مهمة.. ثقي بي، إنها لا تعني له شيئاً.

دق جرس الباب، ونظرت المرأتان إلى بعضهما:

ـ هل تتوقعين أحداً؟

ـ كلا!

أخفضت جسيكا صوتها:

ـ أتعتقدين أنه إيڤان؟

هزت ماري جو رأسها وهي تتجه إلى الباب، قائلة:

ـ لا أعتقد.

تراجعت جسيكا من الغرفة إلى المطبخ:

ـ من الأفضل أن أختبىء.. احتياطاً.

ولدهشتها الكاملة، وجدت ماري جو السيدة لويز درايرون تقف بالباب.

سألت المرأة المسنة: «ماذا حدث؟»

فتحت ماري جو الباب واسعاً لتدخل، وسألت: «حدث؟»

ـ مع إيڤان؟

قالت ماري جو من فوق كتفها:

ـ جسيكا.. بإمكانك الخروج الآن.. إنها ليست إيڤان.

قالت لويز: «إذن جسيكا هنا؟»

فردت جسيكا:

ـ أجل. لكن لماذا أنت هنا؟

ـ أزور ماري جو. لقد اتصل بي داميان.. وقال إنه يشك في سير الأمور على ما يرام بين إيڤان وماري جو.. قال إن ماري جو اتصلت، فأسرعت جسيكا بالخروج. أردت أن أعرف ماذا جرى.

قالت ماري جو: «إنها قصة طويلة».

قالت لويز:

ـ حاولت الاتصال بك.. ثم أدركت أنك تقيمين مع والديك دون شك.. وفكرت أنها مناسبة ممتازة للتعرف إلى والدتك.

تنفست ماري جو بشكل متقطع وأشارت إلى الصوفا:

ـ إنها خارج البيت الآن.. اجلسي، أرجوك.

كان منزل أبويها يفتقد لمظاهر الثراء والفخامة التي تميّز منزل «ويسبرنغ ويلوز»، لكن من يدخله يشعر على الفور بالترحيب.

نظرت إليها والدة إيڤان بلهفة:

ـ فهمت أنك ذهبت لرؤية إيڤان هذا الصباح.. وأعتقد أن اللقاء شكّل كارثة؟

نظرت ماري جو بحدة إلى جسيكا، وقالت:

ـ كان لديه موعد.

تمتمت جسيكا:

ـ لقد أخبرتك بموعد إبحاره التالي. ولم أكن أعرف أنه سيقابل امرأة أخرى.

سألت لويز مقطبة: «من هي؟»

قالت ماري جو: «باربرا».

لوحت لويز بيدها تصرف النظر عن المعلومة:

ـ أوه.. أجل.. أعرف من هي. إنها عارضة أزياء تأتي من نيويورك بين الحين والآخر.. ليس هناك ما يدعو للقلق.

هبطت معنويات ماري جو إلى الأرض.

ـ عارضة أزياء!

ـ إنه لا يهتم بها حقاً.

ـ ربما، لكنه بدا مسروراً لرؤيتها.

باكتئاب أسندت قدميها إلى حافة طاولة القهوة. فتصلب ظهر لويز، وقالت:

- يبدو لي أنه من الأفضل أن أتحدث إلى هذا الصبي.

صاحت جسيكا، فيما شهقت ماري جو:

- أمي! لقد وعدت بعدم التدخل.. أتذكرين؟ فهذا لن يقود سوى إلى المتاعب.. إذا أراد إيثان أن يجعل من نفسه غبياً، يجب أن نتركه يفعل.

قالت لويز:

- أنا غير موافقة.. أنت على حق في أن كلامي معه سيزيد الأمور سوءاً، لكننا لن نسمح لماري جو بأن تتركه ينجو بفعلته هذه.

سألتها جسيكا:

- وماذا تقترحين أن نفعل؟

عضت لويز على شفتها السفلى:

- لست أدري.. لكنني سأفكر بشيء ما.

أشارت ماري جو بيديها معترضة:

- أنا ممتنة لرغبتكما في المساعدة. لكنني أحب أن أرسم خطتي بنفسي.. هل هذا ممكن؟ أرجو ألا تشعرا بالإهانة.

وتلاشت كلماتها، وتحوّل تعبير وجهها إلى التوسل.

ابتسمت جسيكا ومدت يدها إلى يد ماري جو:

- بالطبع.

نظرت ماري جو إلى لويز.. فهزت المرأة رأسها:

- أنت على حق تماماً يا عزيزتي.. سأبقى بعيداً.

وانحنت تحتضن ماري جو.. ثم همست:

- شكراً لك.

لم يصل أيّ خبر لماري جو من إيثان في اليوم التالي.. وحاولت إقناع نفسها بأن أملها لم يخب.. لكنه بالطبع خاب. حين أصبح واضحاً لديها أنه قانع بترك الأمور بينهما على ما هي، سطّرت رسالة

قصيرة وأرسلتها إليه بالبريد. ودون مقدمات، اقترحت عليه أن يستخدمها لأربعة مواسم صيف قادمة، تعويضاً عن المال الذي أعطاه لوالدها.

وعند موعد تلقّيه لبريده الصباحي جلست تنتظر بلهفة قرب الهاتف.. ولم يطل انتظارها. فقد اتصلت سكرتيرته وأبلغتها بموافقته وحددت موعداً للصباح التالي.. أعادت السماعة إلى مكانها، وشعرت بالسعادة.

يوم المقابلة، ارتدت أفضل ملابسها، وحذاء بكعب عالٍ. وصلت في الحادية عشرة تماماً، فرافقتها السكرتيرة إلى مكتبه.

كان إيثان يجلس وراء طاولته، يكتب على ورقة صفراء قانونية، ولم يرفع رأسه إلا بعد خروج المرأة الأخرى من الغرفة. سألته بصراحة:

- إذن.. هل هناك مشكلة؟

- وهل يجب أن يكون هناك مشكلة؟

- لا أرى سبباً لرغبتك في رؤيتي سوى هذا، أفترض أن للأمر علاقة برسالتي.

تراجع في كرسيه، وأخذ يقلب قلماً ذهبياً بين أصابعه، ثم قال:

- لست أدري من أين أتتك هذه الفكرة السخيفة بأنني دفعت خمسة وعشرين ألف دولار لوالديك.

- أيثان.. أنا لست غبية. أعرف بالضبط ماذا فعلت، وأعرف السبب.

- أشك في هذا.

- أعتقد أنه لطف كبير منك.. لكنني لا أستطيع تقبّله مجاناً.

- ماري جو...

- أعتقد أن اقتراحي سيناسبنا معاً.. لقد عملت جيداً وأنا هنا، أليس كذلك؟ وأتمنى ألا تحاول إثارة غيرتي مجدداً.. لقد كدت تنجح،

www.liilas.com

أليس ذلك؟

- يبدو أنني لا أفهم ما تتكلمين عنه.

تنهدت بقوة:

- أوه.. إيڤان.. هل تعتقد أنني غبية؟

رفع حاجبيه الكثيفين، وأجاب:

- في الواقع، هذا ما أعتقده.

تجاهلت كلامه، وتابعت تقول:

- لن تستطيع إقناعي بأنك منجذب لتلك الآنسة.. أنا أعرفك أكثر مما تعتقد، إيڤان درايرون.

ارتجفت شفتاه قليلاً مع بداية ابتسامة، لكنه تمكن من كبتها على الفور.

سألته آملة: «هل توافق على اقتراحي؟»

- كلا!

فاجأها رده الجريء وتراجع رأسها.

- أنت لست مدينة لي ببنس واحد!

على الأقل، لم يحاول إقناعها بأن ذلك المال جاء من استثمارات أديسون.

- لكنني لا أستطيع أن أتركك تفعل هذا.

- ولم لا؟

- هذا غير عادل.. فأنت لا تدين لوالديَّ بشيء. ولو عرفا، سيعيدان المال فوراً.

- لن تقولي لهما شيئاً.

وبالرغم من أنه لم يرفع صوته إلا أن لهجته كانت مصممة.

- لن أفعل.. لكن إذا سمحت لي بأن أعوضك بنفسي.

هز رأسه: «لا اتفاق!».

كانت ماري جو تعرف أنه عنيد.. لكن الأمر سخيف على هذا النحو.

- إيڤان أرجوك.. أنا أريد القيام بهذا العمل.

- المال هدية مني لهما، أرسلته دون ذكر المصدر، ودون شروط. وخطتك لتكوني البديل عن السيدة ستيرلنغ، لم تنجح هذا الصيف.. فما الذي يجعلك تظنين أنها ستنجح في المستقبل؟ بالنسبة لي مسألة المال سخافة كاملة.. وأقترح ألا نذكرها أبداً.

وضع القلم على الطاولة، وكأنه يشير إلى انتهاء الحديث.

سخافة!.. أجفلت ماري جو وتناولت حقيبتها.

- واضح أن ما من شيء آخر نقوله لبعضنا.

- هذا واضح.

وقفت ماري جو رافعة رأسها عالياً، وخرجت من المكتب.. لم يبدأ الارتجاف إلا حين دخلت المصعد.

سألت ماريانا ابنتها:

- ألن تخبريني بما يزعجك؟

كانتا جالستين على طاولة المطبخ الصغيرة تنزعان قشر حبات البازيلاء.

ردت ماري جو: «أنا بخير».

تعرف أنه من المستحيل تقريباً خداع أمها.. بعد سنوات من تربية الأولاد ثم التعامل مع الأحفاد، أصبح لماريانا سومرهيل موهبة لا تخطىء في معرفة ما يدور في رأس أي فرد من العائلة.

قالت الأم:

- جسدياً أجل. لكنك مضطربة نفسياً. أرى هذا في عينيك.

هزت ماري جو كتفيها.. فأكملت الأم:

- يبدو لي أن للأمر علاقة بإيڤان.. فأنت لم تسمعي أخباره منذ

www.elromancia.com

أسبوعين.

إيڤان.. الاسم وحده كان كافياً لإثارة سيل من التعاسة..

وصاحت ماري جو:

- لا أفهمه! لو سمعت أمه تتكلم، لاعتقدت أنه يذوب شوقاً إليّ.

- أليس كذلك؟

- إنه يواعد امرأة أخرى.

- لقد ذكرته الصحف في باب الأخبار الاجتماعية هذا الصباح. هل تعرفين شيئاً عن باربرا جاكسون؟

ضمت ماري جو شفتيها معاً، وردت باقتضاب: «أجل».

- أتصور أنك منزعجة لهذا الأمر.

- منزعجة، ليست الكلمة المناسبة.

وكسرت قرن بازيلاء بحدة فانتشرت الحبوب فوق الطاولة... ولم تفعل ابتسامة أمها شيئاً لتهدئة كرامتها المجروحة.

- ما لا أفهمه.. لماذا يتصرف هكذا؟

سألتها ماريانا بتعجّب: «ألم تفهمي بعد؟».

- لا.. ليس لدي أيّ فكرة.. هل فهمت أنت شيئاً؟

قالت المرأة المسنة: «منذ وقت بعيد...».

رفعت ماري جو رأسها نحو أمها:

- ماذا تعنين؟

- أنت فتاة ذكية يا ماري جو.. لكن، حين يتعلق الأمر بإيڤان.. أتعجب.

صدمتها الكلمات، فصرخت:

- ماذا تعنين؟ أنا أحب إيڤان!

- ليس بالقدر الكافي.

دفعت ماري جو كومة البازيلاء جانباً، ونظرت إلى أمها:

- أمي، كيف يمكنك أن تقولي هذا؟

- بكل بساطة.. إيڤان ليس متأكداً من أنك تحبينه. ولماذا يتأكد؟

غضبت ماري جو، فسألت:

- ليس متأكداً من أنني أحبه؟ لا أصدق أنني أسمع هذا من أمي؟

تابعت ماريان:

- هذا صحيح.. من وجهة نظر إيڤان، لا أستطيع أن ألومه.

ولأنها البنت الصغرى في عائلة كبيرة، سمعت ماري جو كلمات قاسية كثيرة من أفراد العائلة.. لكن ليس على لسان أمها، وليس بهذا الهدوء، كأنهما تناقشان أمور المطبخ.

رد فعلها الأول كان دفاعياً، لكنها بدأت تدرك أن ماريانا قد تعرف شيئاً لا تعرفه هي.

- لا أفهم كيف يصدّق إيڤان أنني لا أحبه؟

ردت ماريانا بهدوء:

- ليس الأمر بصعب الفهم.. لقد ادّعيت مرتين أنك تحبينه بما يكفي للزواج منه.. وفي المرتين غيّرت رأيك.

- لكن..

- لقد أدرت له ظهرك حين واجهت مقاومة من عائلته. ولم تعطه يوماً فرصة للرد على شكوكك... إحساسي يقول إن إيڤان كان سيقف إلى جانبك مهما كانت الظروف.. لكنني أتساءل عما إذا كان العكس صحيحاً.

- تجعلين الأمر يبدو.. بسيطاً.. لكن موقفنا أكثر صعوبة مما تعرفين أو تفهمين.

- ربما.

- عائلته رهيبة!

- لا أشك في هذا أبداً.. دعيني أسألك سؤالاً.. وأريدك أن

www.elromancia.com

تفكري قبل الرد.. هل تحبين إيثان بما يكفي لتقفي في وجه أي معارضة مهما كان شكلها؟

- أجل.

لمعت عينا الأم مع ابتسامة عريضة، وسألتها:

- إذن.. ماذا ستفعلين؟

- أفعل؟

لقد حاولت مرتين، وصدمتها كبرياؤه.. إيثان لا ينوي أن يسهل الأمور.

قالت الأم:

- لو كنت تحبين هذا الرجل، لما ترددت.. إلا إذا...

- إلا إذا.. ماذا؟

- إلا إذا كان لا يعني لك شيئاً كثيراً.

٨ - تمثيلية غير ناجحة

رفعت ماري جو كمي كنزتها الخفيفة وأخذت تذرع غرفة جلوسها ذهاباً وإياباً.. تعليقات أمها حول الطريقة التي عاملت بها إيثان لا زالت تضايقها.. لكن ما كان يزعجها أكثر، هو أن أمها على صواب!

لا عجب إذن في أن يتجاهلها إيثان.. فهو يخشى أن تدير ظهرها وتهرب عند تعرضهما لأول مشكلة أو عقبة. اعتقدت أنها أصبحت أكبر سناً، وأكثر حكمة ونضجاً، ولكنها بدأت تفقد هاتين الميزتين.

عليها الآن أن تثبت حبها لإيثان كي لا يشك بها مرة أخرى.. لكن المشكلة هي أن هذا الأمر قد يطول شهراً.. وربما ثلاث سنوات أخرى.. وهي غير مستعدة للانتظار. يجب على إيثان أن يصدقها على الفور.

لكن لماذا يصدّقها بعد ما جرى؟ وإذا رفض، لن تستطيع لومه. تنهدت، وهي تتساءل عما ستفعله تالياً.

يمكنها أن تتصل بجسيكا، التي كانت أكثر من كريمة في نصائحها.. لكنها تحتاج إلى أن تتكلم مع إيثان بنفسها، وجهاً لوجه، ودون عوائق.

قررت ماري جو ألا تؤجل ما يجب أن تفعله. فاختارت ثيابها بعناية، وذهبت إليه بأبهى حلّة.

حين وصلت إلى المكتب، ابتهجت، ودهشت لرؤية السيدة ستيرلنغ هناك.

قالت المرأة المسنة بابتسامة رضى:

www.elromancia.com

- أوه.. يا إلهي.. كم تبدين جميلة!

بدت السيدة مسترخية الأعصاب وسعيدة.. من الواضح أن الرحلة أفادتها كثيراً.

- وأنت كذلك يا سيدة ستيرلنغ. متى عدت؟

- هذا الأسبوع، وسمعت عن حادثتك. أنا مسرورة جداً لأنك على ما يرام.

- وأنا كذلك.. هل إيڤان هنا؟

- آسفة.. لكني أتوقع وصوله في أي لحظة.. لماذا لا تستريحين في مكتبه؟ سآتيك بالقهوة.. لا أظنه سيتأخر أكثر من بضع دقائق.

- شكراً.. سأفعل.

كانت ترتشف القهوة التي أدخلتها لها السيدة ستيرلنغ، محاولة الحفاظ على شجاعتها، حين أحسّت بوصول إيڤان، فارتجفت يداها وهي تبعد فنجان القهوة عنها.

ما أن دخل إيڤان الغرفة، وهو لا يزال يصدر تعليماته إلى السيدة ستيرلنغ، حتى أصبح كتفا ماري جو متصلبين، وكأنها تحضّر نفسها لعدوان جسدي.

أنهت السكرتيرة تسجيل الملاحظات، وقالت:

- لديك زائر.

وابتسمت برضى وهي تنظر إلى ماري جو.

التفت إيڤان من فوق كتفه، لكنه لم يكشف عن مشاعره.

- مرحباً ماري جو.

ضغطت كفيها على ركبتيها، كأنها تلميذة مدرسة تواجه المعلم، وقالت:

- أود التحدث إليك.. لو سمحت.

قطب، ونظر إلى ساعته. فقالت السيدة ستيرلنغ:

- وقتك حر.. لا مواعيد لديك الآن.

وانسحبت لتقفل الباب وراءها.

قال دون حماسة وهو يدور خلف طاولته:

- حسن جداً.. يبدو أنني قادر على توفير بضع دقائق.

وقفت ماري جو، وجلست في الكرسي قبالته، قائلة:

- أولاً.. أود أن أعتذر.

فرد بخشونة:

- لا.. ليس هناك ما يوجب الاعتذار.

- لكن، هناك أشياء. أوه إيڤان! لقد دمرت كل شيء تقريباً.

ارتفع حاجبه وأصبحت تعابير وجهه ساخرة، وقال:

- أوه.. هيا يا ماري جو قولي ما تريدينه.

انزلقت إلى الأمام في كرسيها، وشرعت تقول:

- كل شيء بدأ ذلك الصيف حين تقابلنا..

- كان هذا منذ سنوات طويلة. وإذا كنت لا تمانعين.. أفضل أن نتركه هناك.

مد يده إلى قلمه الذهبي وكأنه يحتاج إلى أن يمسك بشيء ما.

- لا أوافق معك.. يجب أن نوضح الماضي. وإلا، متى تزوجنا..

قال مقاطعاً بحدة:

- يبدو لي أنك تعتبرين أوهاماً كثيرة كأمر واقع.

- ربما.. لكنني أشك في بعض الأمور.

- ماري جو.. لا أرى أن هذا قد يوصلنا إلى شيء.

ردت بسرعة:

- لكنني أرى.. أرجوك أصغ إلى ما أقوله، وإذا لم تقتنع، فسأقوله بطريقة أخرى إلى أن تصبح مقتنعاً بأنني أحبك.

ارتفع حاجباه مجدداً، وقال:

www.elromancia.com

- لدي موعد هذا المساء.

- إذن سأتكلم بسرعة.. وثق بأنك لا تخدعني بهذا الكلام.

- أتعتقدين أنني أكذب؟

- بالطبع لا. ربما تكون قد رتبت أمسية مع امرأة ما.. لكنك تحبني أنا.

اسودّت قسمات وجهه الوسيمة في عبوس، لكن قلبها تشجع لأنه لم يعارضها. نظرت إلى ساعتها:

- كم لدي من الوقت قبل أن تصبح مضطراً للخروج؟

- ما يكفي.

لم يكن يفعل شيئاً ليشجعها، لكن لا بأس بذلك. فهي تعرف ما تريده، ولن تدع شيئاً بسيطاً كهذا يقف في وجهها. لزمها بضع لحظات لترتيب أفكارها، ولتتذكر ما خططته بدقة. ولعل التريث من مصلحتها، فهي لا تريد أن تبدو وكأنها تدربت على الكلام أمام المرآة، علماً أنها فعلت ذلك.

قال إيثان يستحثها: «ماذا كنت تقولين؟».

عضت على شفتها السفلى، وأجابت:

- أجل.. لقد أردت التحدّث معك عن المنزل.

- أي منزل؟

- ذاك الذي فيه سبع غرف نوم.. والذي ناقشنا كل تفاصيله معاً.. المنزل الذي أريد العيش فيه معك ومع أولادنا.

لاحظت أن عينيه تحولتا عن عينيها. وأكملت:

- تشوّشت أفكاري مؤخراً.. وشعرت بالأسى على نفسي.. بدا لي أنني خسرتك. و.. وجدت الفكرة لا تحتمل.

تمتم بخشونة:

- ستعتادين عليها بعد وقت قصير.

- لن يحصل هذا.. ليس مرة أخرى.. أبداً.

مال إلى الأمام في مقعده، وكأنما يريد أن يراها بشكل أفضل، وسألها:

- وما الذي سبب هذا التغيير العاطفي المفاجىء؟

- ليس مفاجئاً.. حسناً.. إنها أمي.. إنها..

- هل أنت واثقة من أنها ليست أمي أنا؟ يبدو أن لها يداً في كل ما يدور بيني وبينك.

- لم يعد الأمر كذلك.. حسب قول جسيكا، كانت أمك منطوية على نفسها تتساءل عما حدث لنا. يجب أن نعطيها حقها يا إيثان.. لم تتصل أو تضغط علي ولو مرة واحدة.. لقد وعدت بألا تفعل، وأمك امرأة تحترم كلمتها.

- ماذا وعدت بالضبط؟

- ألا تتدخل في حياتنا.. جاءت تزورني وأنا في المستشفى، وجرى بيننا حديث رائع.. بعض المشاكل بيننا كانت من صنعي أنا.. كانت أمك قد أخافتني، وخشيت أن أواجهها.. لكن بعد حديثنا فهمتها أكثر، وفهمتني هي كذلك.

انتظرت أن يعلق، لكن أملها خاب. فأكملت:

- لست أول فتاة ترشحها والدتك للزواج منك.. هناك عدد من الفتيات وربما بإمكانهن أن يساعدنك أكثر في مستقبلك السياسي.

- أنا أواعد إحداهن الآن.

جاءت المعلومة كصفعة على وجهها، لكن ماري جو لم تكشف عن مشاعرها.. بل أكملت بهدوء:

- أمك تريد لك السعادة قبل أي شيء آخر، وهي تعتقد، كما أعتقد أنا، أن وجودنا معاً سيوفر لك هذه السعادة.

- لطف منها أن تتشاور معك.. يبدو لي أنكما قد اتفقتما عليّ، ولا

www.elromancia.com

ننسى العزيزة جسيكا. كلكم تتآمرون ضدي.

- أنت مخطىء تماماً.. لقد تحدثت إلى جسيكا مرات عدة، لكن أمي هي التي ساعدتني على فهم الأمور بشكل واقعي.

رفع عينيه إلى السقف كأنما ليقول إن الكثيرات يتدخلن في هذا الأمر:

- وهي الآن تشارككن الرأي.

- كل ما فعلته أمي هو أنها أوضحت لي بعض الحقائق وينبغي أن نشكرها. قالت إن من حقك التساؤل عن مدى قوة حبي لك.. لقد أحبطني كلامها.. خاصة وأنها تعرف مدى يأسي وتعاستي مؤخراً.

ابتسم من زاوية فمه.. فأكملت:

- قالت أمي إن كنت أحبك كما أدعي، لوقفت إلى جانبك كما فعلت أنت بالرغم من أيّ معارضة.. إيثان لا أستطيع أن أصف لك مدى ندمي. أنا مؤمنة بك.. مؤمنة بحبنا.. ولن أترك لك بعد اليوم مجالاً للشك. وفضلاً عن ذلك...

- وهل هناك المزيد؟

بدا عليه الضجر.. وكأن كلامها أخذ وقتاً أكثر مما توقع.

- هناك شيء أخير. ستكون عضواً رائعاً في المجلس البلدي للمدينة.. وسأقوم بكل ما في وسعي لتحقيق حلمك.. لن يكون من السهل علي أن أصبح مركزاً لاهتمام الناس، لكن مع الوقت، سأتعلم أن لا أكون متوترة... ولقد تطوعت أمك لمساعدتي.. سأتمكن من القيام بهذا يا إيثان. أعرف أنني قادرة.. بعد ثلاث أو أربع سنوات، سأكون محترفة أمام عدسات الكاميرات. انتظر لترى.

لم يتكلم، وأحست ماري جو بكل ضربة من ضربات قلبها خلال الصمت الذي تلا كلماتها.

أخيراً قال إيثان:

- كل هذا حسن وجيد. لكنني لا أعتقد أن هذا سيغيّر الأمور.

وقفت على قدميها بحدة:

- ألا تعتقد؟ هل تحبني أم لا؟

نظر إليها نظرة لا مبالاة صريحة وأجاب:

- بصراحة.. لم أعد أعرف ماذا أشعر نحوك.

بحركة بطيئة، عادت ماري جو لتغوص في مقعدها. لقد خسرته. إنها ترى هذا في عينيه، في الطريقة التي ينظر بها إليها. فتمتمت:

- فهمت.

- والآن لو عذرتني.. لدي بعض الأعمال.

صدمة رفضه أخرستها، ولزمها لحظات لتقف. شدت حقيبتها إلى معدتها، وقالت:

- أنا.. أنا آسفة لإزعاجك.

واستجمعت ما تبقى من كرامتها ووقارها لتغادر الغرفة.

فقال بصوت يخلو من أي انفعال:

- ما من إزعاج.

في تلك اللحظات بالذات عرفت ماري جو.. لن تستطيع أن تشرح كيف حصل ذلك، لكنها عرفت. وطغى عليها الارتياح مثل رذاذ ساخن بعد يوم شديد البرد. إنه يحبها.. ولطالما أحبها.

استدارت لتواجهه مجدداً وكلها ثقة.

كان يشغل نفسه بالكتابة على ورقة قانونية ولم يرفع نظره إليها. همست باسمه: «إيثان».

تجاهلها فتابعت تقول: «أنت تحبني!».

ارتجفت يده قليلاً. وكانت هذا ردة الفعل الوحيدة التي بدرت عنه، فتقدمت نحوه خطوة، وأضافت:

- لن تنجح.

تنهد بثقل:

- ما الذي لن ينجح؟

- هذه التمثيلية الصغيرة.. لا أعلم ماذا تحاول أن تثبت، لكنها لن تنجح. ولن تنجح إطلاقاً. لا يمكن أن تجلس قرب سريري في المستشفى طوال تلك الساعات دون أن تشعر بشيء نحوي. لا يمكن أن تعطي أبي ذلك المال، دون أن تكون مهتماً بي.

- لم أقل إنني لا أهتم.. لكن كما قلت أنت نفسك.. أحياناً الحب وحده لا يكفي.

تمتمت:

- إذن.. أعترف أنني كنت مخطئة! والآن اسمع.. أمك وأمي تتحرقان شوقاً لحفل زفافنا. فماذا تريد أن أقول لهما؟ أن كل شيء انتهى وأنك لا تحبني؟ هل تتوقع أن يصدقك أحد؟ أنا لا أتوقع.

- صدقي ما شئت.

أغمضت عينيها قليلاً:

- أنت تختبر صبري يا إيڤان. ولا أظن أنك قادر على جعلي أغيّر رأيي.

اقتربت أكثر.. هناك أكثر من طريقة لإثبات وجهة نظرها.. أكثر من طريقة لسحب بساط الجدل من تحت قدميه.. ولن تترك هذه الفرصة تمر.

وصلت إلى طاولته.. وضعت كلتا يديها عليها. ومالت إلى الأمام بحيث لم يبق سوى إنشات قليلة بين وجهيهما.

- حسن جداً يا سيد درايرون.. سترى.

ضاقت عيناه وهي تستدير حول الطاولة. ولحق رأسه بحركتها.. استدار في كرسيه، ينظر إليها بارتياب.

في تلك اللحظة، رمت بنفسها على ركبتيه، ولفت ذراعيها حول

عنقه.. أحست بدهشته ومقاومته، لكن مقاومته تلاشت على الفور تقريباً حين لامست شفتيها خده.

كان قد مر زمن طويل منذ تعانقا للمرة الأخيرة.. زمن طويل منذ اختبرت دفء عناقه.

شدها إيڤان إليه.. كان لطيفاً في البداية ثم قاسياً متصلباً.. وبدأ مزيج مخيف من المشاعر يتحرك داخلها.. وهي تتعلق به. استطاعت أن تحس بقلبه ينبض بسرعة قلبها، وبأنفاسه متعبة كأنفاسها.

قالت، وهي تمسك وجهه بين يديها:

- أحبك.. يا إيڤان درايرون!

- أوليس هذا مجرد عرفان بالجميل؟

رفعت رأسها:

- على ماذا؟

- على ما أعطيته لوالدك؟

- أبداً! لكن هذا أمر يجب أن نناقشه.

- لا لن نناقشه.. لدي اقتراح.

سألت بخجل مزيف:

- اقتراح محتشم أم غير محتشم؟

- هذا يعود إلى تقديرك.

عادت لتلف ذراعيها حول عنقه، ورفعت نفسها قليلاً لتضغط رأسها على كتفه.

قال: «هل تتزوجينني؟».

تنهدت سعادة:

- أوه.. أجل.. وقريباً.

- بشرط واحد.. ألاّ تذكري المال مرة أخرى.

- لكن..

www.elromancia.com

ـ هذه هي شروطي.

أحست ماري جو بصعوبة في التنفس، وسألته:

ـ شروطك؟

ـ هل توافقين أم لا؟

وقبل أن تجيب، اختطف أي فرصة للجدال بضمة أخرى.. وإلى أن تركها كانت ماري جو قد اكتشفت أنها ستكون راضية بأي شيء.. وهزت رأسها مخدرة الأحاسيس.

ـ سنقوم بتحضيراتنا الخاصة للزفاف..

نظرت إليه مستفهمة فأضاف:

ـ هذا زفافنا، وليس زفاف أمي أو أمك.

ابتسمت وأسندت رأسها إلى كتفه: «فهمت».

صمتا لعدة دقائق، كل منهما يستمتع بقربه من الآخر.. ثم قالت:

ـ أمي كانت على حق.. أنا بحاجة لأن أثبت لك أن حبي أكثر من كلام.

اعترف:

ـ لو أنك خرجت من الباب لأوقعتني في حيرة. لكن ما كنت لتبتعدي كثيراً.. كنت سأركض خلفك.. إنما يسرني أنني لم أضطر إلى هذا.

مررت إصبعها على عنقه بمحبة، وعلّقت:

ـ لقد كنت حمقاء!

ـ سأعطيك خمسين أو ستين سنة للتعويض علي. مع تخفيف الحكم بسبب السلوك الحسن.

رسمت السعادة على وجهها ابتسامة مشرقة، وعانقته بقوة، فسأل:

ـ لِمَ كل هذا؟

ـ لتأكيد الاتفاق.. من الآن نحن لبعضنا.. لا شيء سيقف بيننا.

ـ لا شيء على الإطلاق!

فتح الباب وأطلت السيدة ستيرلنغ برأسها.. وقالت بابتسامة عريضة:

ـ أردت فقط أن أطمئن. وأنا الآن في غاية السعادة لما أرى.

قالت ماري جو: «وأنا كذلك».

شدها إيڤان إليه مجدداً، وسمعت ماري جو صوت الباب يقفل بهدوء.

www.elromancia.com

الخاتمة

بعد ثلاث سنوات.

نادت جسيكا ابنها الذي أصبح في الرابعة من عمره:

- آندرو.. لا توقظ بيثان!

ضحكت ماري جو وهي تراقب الصبي ينحني فوق الطفلة الصغيرة المولودة حديثاً ويقبل جبينها.

- انظري.. إنهما ابنا عم يقبلان بعضهما.

سألتها جسيكا: «كيف تشعرين؟».

وحملت كوباً من الشاي المثلج إلى ماري جو الجالسة تحت مظلة الشرفة.

- هذا رائع!

- إيثان مبتهج جداً ببيثان.. أليس كذلك؟

- أوه أجل.. يذكرني بداميان حين رزق بلوري جو. من يراهما يظن أننا المرأتان الوحيدتان على الأرض اللتان ولدتا أطفالاً.

قالت ماري جو ممازحة:

- قد أعتاد على كل هذا الاهتمام.

نظرت إليها جسيكا غير مصدقة فأضافت:

- حسناً، أعترف بأنني ارتبكت حين زارني المحافظ في المستشفى.. وكان من اللطف أن أتلقى كل تلك الزهور من تلك المجموعة التي تظن أن إيثان يريد ذلك.. من الواضح أنهم لا يعرفون زوجي.

تنهدت جسيكا واسترخت في الكرسي الطويل، ثم قالت:

- هل تعرفين؟.. لقد قال إيثان لداميان مئة مرة وأكثر أنك أنت من أكسبه مركزه.

ضحكت ماري جو، تصرف الاهتمام عن هذا الموضوع.

- لا تكوني سخيفة.

- أنت من سار إلى المذياع في ذلك الاجتماع الحاشد لتقولي إذا كان هناك من يعتقد أن إيثان لا يمثل العمال فليتناقش معك ومع عائلتك.

تذكر ماري جو ذلك اليوم جيداً. كانت غاضبة لسماعها خصومه يشيعون أنه لا يفهم مشاكل العمال اليومية.. وكان إيثان قد رد على ذلك.. لكن رد ماري جو الحماسي أكسبه قلوب المستمعين. وقد عرضت كاميرات التلفزيون ذلك الاجتماع على ثلاث أقنية. ومن تلك اللحظة، ارتفعت شعبية إيثان.

تحركت بيثان، فنهضت ماري جو لتحتضن ابنتها بين ذراعيها.

صوت تناهى إليها من بعيد، أعلمها أن إيثان وشقيقه عائدان من لعبة الغولف.

قالت جسيكا حين وصل داميان وإيثان إلى الشرفة.

- لم تطُل اللعبة كثيراً.

وجلس إيثان في المقعد المجاور لزوجته، ليسألها بصوت منخفض:

- منذ متى لم أقل لك إنني أحبك؟

نظرت ماري جو مبتسمة إلى ساعتها، وردت:

- منذ حوالى.. الأربع ساعات.

قبّل جانب عنقها، وقال:

- هذا وقت طويل جداً.. أحبك.

قال داميان لزوجته:

- انظري إلى هذين الزوجين.. قد تظنين أنهما لا يزالان في شهر العسل.

مدت جسيكا يدها تضغط على يده، وسألته:
- وما العيب في ذلك؟
ابتسم لها بمحبة، وأجاب:
- لا شيء أبداً حبيبتي.. لا شيء مطلقاً.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة